كتاب شفاء قاضي عياض

١٩

الحمد لله

ملكه من فضل [illegible]

الحمد لله وحده

ملكه من فضل الله سبحانه وتعالى الفقير الى الله تعالى الفقيه عبد الكريم ابن الفقيه محمد [illegible] عفا الله عنهم [illegible] واحسن [illegible]
[illegible] الكريم وابن [illegible] من [illegible] نعيم فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

سص

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وبلى
اكرمه الله تعالى بالرأفة والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال القاضي الفقيه الامام العالم العامل
ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رضي الله عنه ورحمه وغفر له آمين

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي
ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن
تقدسا لا عدما وسع كل شي رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما
وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى
وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رافة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما
وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما
فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما
وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة
تنمي وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك
بانوار اليقين ولطف بي وبك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين
شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملا

قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم
به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة كماله
وجماله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون
وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما
يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك
القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع
لك ما لاسلافنا وائمتنا رحمهم الله في ذلك من مقال وابينه بتنزيل
صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا
وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا
ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل
تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله تعالى وتاييد
لكني لما ارجوه لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب

بتعريف قدره الجسيم • وخلقه العظيم • وبيان خصايصه التي لم
تجتمع قبل في مخلوق • وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع
الحقوق • ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين أمنوا إيمانا •
ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه •
ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري • حدثنا أبو محمد بن عبد
المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الأشعث • حدثنا موسى
بن اسمعيل حدثنا حماد قال أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم
فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمه • فبادرت إلى نكت سافرة
عن وجه الغرض • مؤديا من ذلك الحق المفترض • إختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال • بما طوقه من مقاليد المحنة التي
أبتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل • وترد بعد حسن
التقويم إلى أسفل سفل • ولو أراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله
وهمه كله • فيما تحمد غدا أو يذم محله • فليس ثم سوى حضرة النعيم
أو عذاب الجحيم • ولكان عليه بخويصته • واستنقاذ مهجته •
وعمل صالح يستزيده • وعلم نافع يفيده • أو يستفيده • جبر الله
صدع قلوبنا • وغفر عظيم ذنوبنا • وجعل جميع استعدادنا لمعادنا •
وتوفر دواعينا فيما ينجينا • ويقربنا إلى الله تعالى زلفا • ويحظينا

بمنه ورحمته • ولما نويت تقريبه • ودرجت تبويبه • ومهدت تأصيله
وخلصت تفصيله • وانتحيت حصره وتحصيله • ترجمته بالشفا بتعريف
حقوق المصطفى • وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة •
القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى • لقدر هذا النبي صلى الله عليه
وسلم قولا وفعلا • وتوجه في ثنائه تعالى عليه • واظهار عظيم قدره
لديه • وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا • وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا • وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما
ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته • وفيه اثني عشر فصلا الباب
الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من الأيات والمعجزات • وشرفه
به من الخصائص والكرامات • وفيه ثلثون فصلا القسم
الثاني فيما يجب على الأنام • من حقوقه عليه السلام • ويترتب القول
فيه في أربعة أبواب الباب الأول في فرض الايمان به ووجوب
طاعته • واتباع سنته • وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم
محبته ومناصحته • وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم أمره •
ولزوم توقيره وبره • وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة
عليه والتسليم • وفرض ذلك وفضيلته • وفيه عشرة فصول القسم
الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه • وما يمتنع ويصح من

ل

الأمور البشرية أن تضاف إليه * وهذا القسم الكريم أيده الله هو سر الكتاب
ولباب ثمرة هذه الأبواب * وما قبله له كالقواعد والتمهيدات * والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات * وهو الحاكم على ما بعثه
والمنجز من غرض هذا التأليف وعده * وعند التقصي لموعده * والتفصي
عن عهدته * يشرق صدر العدو اللعين * ويشرق قلب المؤمن باليقين
وتملأ أنواره جوانح صدره * ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم
حق قدره * ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الأول يختص
بالأمور الدينية * ويتشبث به القول في العصمة * وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في أحواله الدنيوية * وما يجوز طروه عليه من الأغراض
البشرية * وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه
الأحكام * على من تنقصه أو سبه عليه السلام * وينقسم الكلام
فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض أو نص * وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم
شانيه ومؤذيه * ومتنقصه وعقوبته * وذكر استتابته * والصلاة عليه
ووراثته * وفيه عشرة فصول * وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسألة * ووصلة للبابين اللذين قبله * في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملائكته وكتبه * وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
واختصر الكلام فيه في خمسة فصول * وبتمامها ينتجز الكتاب
وتتم الأقسام والأبواب * ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة * وفي

تاج

تاج التراجم درة خطيرة * يزيح كل لبس * وتوضح كل تخمين وحدس
وتشفي صدور قوم مؤمنين * ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين *
وبالله تعالى لا إله سواه أستعين القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى
لقدر النبي المصطفى * صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا * قال القاضي الإمام
أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم * أو خص
بأدنى لمحة من فهم * بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام * وخصوصه
إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام * وتنويهه من عظيم
قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام * فمنها ما صرح به تعالى * في
كتابه * ونبه به على جليل نصابه * وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه * وحض
العباد على التزامه * وتقلد إيجابه * فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى
ثم طهر وزكى * ثم مدح بذلك وأثنى * ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى * فله
الفضل بدءا وعودا * والحمد لله أولى وأخرى * ومنها ما أبرزه للعيان
من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال * وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة * والأخلاق الحميدة * والمذاهب الكريمة * والفضائل
العديدة * وتأييده بالمعجزات الباهرة * والبراهين الواضحة * والكرامات
البينة * التي شاهدها من عاصره * ورآها من أدركه * وعلمها علم يقين من
جاء بعده * حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا * وفاضت أنواره علينا
صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرا * حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه * حدثنا أبو الحسين المبارك

بن عبد الجبار • وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلي البغدادي •
قال حدثنا ابو علي السنجي • حدثنا محمد بن احمد بن محبوب • حدثنا أبو
عيسى بن سورة الحافظ • حدثنا ابو اسحق بن منصور • حدثنا عبد الرزاق •
اخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم •
قال أُتي بالبراق ليلة أُسري به ملجمًا مسرجًا فاستصعب عليه فقال له
جبريل أبمحمد صلى الله عليه وسلم تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم
على الله منه قال فارفض عرقًا الباب الأول في ثنا الله تعالي عليه •
واظهار عظيم قدره لديه • اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيره
مفصحة بجميل ذكر المصطفي وعد محاسنه • وتعظيم أمره • وتنويه
قدره • اعتمدنا منها على ما ظهر معناه • وبان فحواه • وجمعنا ذلك
في عشرة فصول الفصل الأول فيما جا من ذلك مجي المدح والثنا وتعداد
المحاسن كقوله تعالي • لقد جاكم رسول من أنفسكم الآيه • قال السمرقندي
وقرا بعضهم من أنفَسكم بفتح الفا وقراة الجمهور بالضم • قال القاضي
الامام ابو الفضل وفقه الله • أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل
مكه أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب •
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه
ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحه لهم •
لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم • ولادة أو قرابة وكونه من أشرفهم وارفعهم وأفضلهم •

على قراة الفتح • وهذه نهاية المدح • ثم وصفه بعد بأوصاف حميده •
وأثنى عليه بمحامد كثيره • من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم •
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليهم ورافته
ورحمته بمؤمنيهم • قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رءوف رحيم •
ومثله في الآيه الأخرى قوله تعالى • لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من أنفسهم الآيه • وفي الآية الاخرى • هو الذي بعث في الأميين
رسولا منهم • وقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآيه • وروي عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه عليه السلام في قوله تعالى من أنفسكم
قال نسبًا وصهرًا وحسبًا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح • وقال
جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقًا من
جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرافه والرحمه واخرجه الى الخلق
سفيرًا صادقًا • وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته • فقال عز
وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله • وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين • قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله زين الله محمدًا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه
شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه • والواصل فيهما
الى كل محبوب • الا ترى ان الله تعالى يقول وما أرسلناك الا رحمة للعا[لمين]
فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم •

حياتي خير لكم * وموتي خير لكم * وكما قال عليه السلام اذا أراد
الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا * وقال السمرقندي
رحمة للعالمين * يعني للجن والانس * وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة
وللمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب * قال
ابن عباس رضي الله عنه هو رحمة للمومنين والكافرين إذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام * هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت
أخشى العاقبة فأمنت لثنا الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى *
فسلام لك من أصحاب اليمين * أي بك إنما وقعت سلامتهم من كرامة
محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الله تعالى الله نور السموات والأرض
الآية * قال كعب وابن جبير رضي الله عنهما المراد بالنور الثاني هنا *
محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى مثل نوره أي مثل نور محمد
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل السموات والأرض * ثم
قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها
كذا * وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري لما
فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي من نور ابرهيم
وضرب المثل بالشجرة المباركة * وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي
تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا

الزيت * وقد قيل في الآية غير هذا والله أعلم * وقد سماه الله تعالى في
القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا * فقال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين * وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا * وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا * ومن هذا قوله تعالى ألم
نشرح لك صدرك الى آخر السورة * شرح وسع * والمراد بالصدر هنا القلب *
قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام * وقال سهل بنور الرسالة *
وقال الحسن ملأه حكما وعلما * وقيل معناه ألم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس * ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك *
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة * وقيل أراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل أراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي * وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك * حكاه
السمرقندي * ورفعنا لك ذكرك * قال يحيى بن آدم بالنبوة * وقيل
إذا ذكرت ذكرت معي * قول لا اله الا الله محمد رسول الله * وقيل في
الأذان * قال القاضي أبو الفضل رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بأن شرح قلبه للايمان والهداية * ووسعه لوعي العلم
وحمل الحكمة * ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه * وبغضه لسيرها
وما كانت عليه * بظهور دينه على الدين كله * وحط عنه عهدة أعباء
الرسالة والنبوة * لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم

مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره * وقرانه مع اسمه اسمه * قال قتادة رحمه الله رفع ذكره في الدنيا والأخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله * روي أبو سعيد الخدري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك فقلت الله ورسوله أعلم * قال اذا ذكرت ذكرت معي * قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرك معي * وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني * قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية * وأشار بعضهم في ذلك الي الشفاعة ومن ذكره معه تعالي أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه * فقال واطيعوا الله والرسول * وامنوا بالله ورسوله * فجمع بينهما بواو العطف المشتركة * ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام * حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقراته علي الثقة عنه * قال حدثنا ابو عمر النمري * قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن * حدثنا ابو بكر بن داسه * حدثنا أبو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي * حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم * قال لا يقولن أحدكم ما شا الله وشا فلان * ولكن ما شا الله ثم ما شا فلان * قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم الي الأدب في تقديم مشية الله تعالي

علي مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي * بخلاف الواو التي هي للاشتراك * ومثله الحديث الاخر أن خطيبا خطب عند النبي صلي الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد * ومن يعصهما فقد غوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم * بيس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب * قال أبو سليمن كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية * وذهب غيره الي انه انما كره له الوقوف علي يعصهما * وقول أبي سليمن أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد غوي * ولم يذكر الوقوف علي يعصهما * وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله ان الله وملئكته يصلون علي النبي هل يصلون راجعة علي الله تعالي والملئكة أم لا * فأجازه بعضهم ومنعه أخرون لعلة التشريك * وخصوا الضمير بالملئكة * وقدروا الأية ان الله وملئكته يصلون * وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله * وقد قال تعالي قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الأيتين وروي انه لما نزلت هذه الأية * قالوا ان محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصاري عيسي * فأنزل الله قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم * وقد اختلف المفسرون في معني قوله تعالي في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم * هو رسول الله صلي الله عليه وسلم

وخيار أهل بيته وأصحابه ❁ حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي ❁ وحكي
مكي عنهما نحوه ❁ وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه
أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ❁ وحكي أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي
العاليه في قوله صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق والله ونصح وحكي الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن زيد ❁ وحكي أبو عبد الرحمن السلمي عن
بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ❁ انه
محمد صلى الله عليه وسلم ❁ وقيل الإسلام ❁ وقيل شهادة التوحيد ❁ وقال
سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ❁ قال نعمته
محمد عليه السلام ❁ وقال تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون الايتين ❁ اكثر المفسرين على ان الذي جا بالصدق ❁ هو
محمد صلى الله عليه وسلم ❁ قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرى
صدق بالتخفيف ❁ وقال غيرهم الذي صدق به المومنون ❁ وقيل
أبو بكر وقيل علي ❁ وقيل غير هذا من الاقوال ❁ وعن مجاهد في قوله
تعالى ❁ الا بذكر الله تطمين القلوب ❁ قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثنا والكرامة

قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا الايه ❁ جمع الله تعالى
له في هذه الأيه ضروبا من رتب الاثره ❁ وجملة أوصاف من المدحه
فجعله شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم الرسالة ❁ وهي من خصايصه

عليه

عليه السلام ❁ ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته ❁ وداعيا
إلى توحيده وعبادته ❁ وسراجا منيرا ❁ يهتدى به للحق حدثنا الشيخ
أبو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد قال
حدثنا ابو الحسن القابسي ❁ قال حدثنا أبو زيد المروزي ❁ حدثنا أبو عبد
الله محمد بن يوسف ❁ حدثنا البخاري ❁ حدثنا محمد بن سنان ❁ حدثنا
فليح ❁ حدثنا هلال عن عطا بن يسار ❁ قال لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران ❁ يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ❁ وحرزا للاميين ❁ انت عبدي ورسولي ❁ سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ❁ ولا يدفع بالسيه
السيه ❁ ولكن يعفو ويغفر ❁ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجا بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا ❁ واذانا صما ❁ وقلوبا
غلفا ❁ وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ❁ وفي بعض طرقه
عن أبي اسحق ولا صخب في الاسواق ❁ ولا متزين بالفحش ❁ ولا
قوال للخنا ❁ أسدده لكل جميل ❁ واهب له كل خلق كريم ❁ واجعل
السكينة لباسه ❁ والبر شعاره ❁ والتقوى ضميره ❁ والحكمة معقوله
والصدق والوفا طبيعته ❁ والعفو والمعروف خلقه ❁ والعدل سيرته
والحق شريعته ❁ والهدى امامه ❁ والاسلام ملته ❁ واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة ❁ واعلم به بعد الجهالة ❁ وارفع به بعد الخماله

وأسمي به بعد النكره • واكثر به بعد القله • واغني به بعد العيله • واجمع
به بعد الفرقه • واولف به بين قلوب مختلفه • واهواء متشتته • وامم
متفرقه • واجعل امته خير امة اخرجت للناس • وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلي الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار •
مولده بمكه • ومهاجره بالمدينه • او قال طيبه • امته الحمادون لله علي كل
حال • وقال تعالي الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين • وقال تعالي
فبما رحمة من الله لنت لهم الايه • قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه
جعل رسوله رحيما بالمومنين • روفا لين الجانب • ولو كان فظا خشنا
في القول لتفرقوا من حوله • لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا •
هكذا قاله الضحاك • وقال تعالي وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا • قال ابو الحسن القابسي
ابان الله تعالي فضل نبينا صلي الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الايه •
وفي قوله في الايه الاخري • وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهدا علي الناس • وكذلك قوله تعالي فكيف اذا جينا من كل
امة بشهيد الايه • وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعني هذه الايه • وكما [عدولا]
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا
عدولا لتشهدوا للانبيا علي اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق •
وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
اممهم ما جانا من بشير ولا نذير • فتشهد امة محمد للانبياء •

وتزكيهم

وتزكيهم النبي صلي الله عليه وسلم • وقيل معني الايه انكم حجة علي كل
من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي • وقال تعالي وبشر
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم • قال قتاده والحسن وزيد
بن اسلم قدم صدق هو محمد صلي الله عليه وسلم ليشفع لهم • وعن الحسن
ايضا هي مصيبتهم بنبيهم • وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة
نبيهم محمد صلي الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم • وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلي الله
عليه وسلم • وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع • والسائل المجاب • محمد صلي الله عليه وسلم • حكاه
عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفه
والمبره • من ذلك قوله تعالي عفا الله عنك لم اذنت لهم • قال ابو
محمد مكي • قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله •
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وحكي
السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم • قال ولو بدا النبي صلي الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف
عليه ان ينشق قلبه من هيبه هذا الكلام لكن الله تعالي برحمته
اخبره بالعفو حتي سكن قلبه • ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتي
يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب • وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله ما لا يخفي علي ذي لب • ومن اكرامه اياه

وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب • قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا • فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم • قال القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بأدب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته • فهو عنصر المعارف الحقيقيه وروضة الاداب الدينيه والدنيويه • وليتامل هذه الملاطفه العجيبه في السوال من رب الارباب • المنعم على الكل المستغني عن الجميع • ويستثير ما فيها من الفوايد • وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب • وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب • قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبيا بعد الزلات • وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه عليه السلام • ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط المحبه • وهذه غاية العنايه • ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثنا عتبه براته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته • ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الايه • قال علي رضي الله عنه • قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الايه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاه جبريل فقال ما

حزنك

حزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق • فانزل الله تعالى الايه ففي هذه الايه منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام • والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم • وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين • فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين • فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون • فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا • ثم عزاه وانسه بما ذكره عن من قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الايه • فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا • وقال الفرا والكسايي لا يقولون انك كاذب • وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك • ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا زكريا يا عيسى يا يحيى • ولم يخاطب هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره • قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون • اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من

الله جلَّ جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلّم • وأصله ضم العين
من العمر • ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا
محمد • وقيل وعيشك • وقيل وحياتك • وهذه نهاية التعظيم وغاية
البر والتشريف • قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسًا أكرم
عليه من محمد • وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره صلى الله
عليه وسلّم • قال أبو الجوزا ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله
عليه وسلّم لأنه أكرم البرية عنده • وقال تعالى يس والقرآن الحكيم •
الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال • فحكى أبو محمد
مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال لي عند ربي عشرة
أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له • وحكى أبو عبد الرحمن السلمي •
عن جعفر الصادق أنه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلّم
وعن ابن عباس يا انسان اراد محمدًا • وقال هو قسم وهو من اسماء الله
تعالى • وقال الزجاج قيل معناه يا محمد • وقيل يا رجل وقيل يا انسان •
وعن ابن الحنفية يس يا محمد • وعن كعب يس قسم أقسم الله به قبل
أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد انك لمن المرسلين • ثم قال
والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين • فإن قدر انه من اسمائه صلى
الله عليه وسلّم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم • ويؤكد فيه
القسم عطف القسم الآخر عليه • وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم آخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته • أقسم تعالى باسمه وكتابه

انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق • قال النقاش لم يقسم
الله تبارك وتعالى لأحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من
تعظيمه وتمجيده • على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه • وقد قال عليه
السلام انا سيد ولد آدم • وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد • قيل لا أقسم
به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي • وقيل لا
زايدة أي اقسم به وانت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين • والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة • وقال الواسطي أي نحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيًا وببركتك ميتًا يعني
المدينة والأول أصح • لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل •
هذا البلد ونحوه • قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين
قال أمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه امان حيث كان ثم قال
ووالد وما ولد من قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد
فهي ان شا الله اشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلّم فيتضمن السورة
القسم به في موضعين • وقال تعالى الم ذلك الكتاب • قال ابن
عباس هذه الحروف اقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير
ذلك • وقال سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله تعالى واللام
جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا

القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول تحتمل القسم ان هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم •
وقال بن عطاء في قوله ق والقران المجيد • أقسم بقوة قلب حبيبه محمد
صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة • ولم يوثر ذلك
فيه لعلو حاله • وقيل هو اسم للقران • وقيل هو اسم لله • وقيل جبل
محيط بالارض • وقيل غير هذا • وقال جعفر بن محمد في تفسير
والنجم اذا هوى • انه محمد صلى الله عليه وسلم • وقال النجم قلب
محمد هوى انشرح من الانوار • وقال انقطع عن غير الله • وقال ابن
عطاء في قوله والفجر وليال عشر • الفجر محمد لان منه صلى الله عليه
وسلم تفجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقيق
مكانته عنده • قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى • السورة
اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام • وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة • قال القاضي
الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه • الاول القسم له عما اخبره
به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى • اي ورب الضحى • وهذا من
اعظم درجات المبرة • الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه •
بقوله ما ودعك ربك وما قلى • اي ما تركك وما ابغضك • وقيل

ما اهملك بعد ان اصطفاك • الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى •
قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من
كرامة الدنيا • وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا • الرابع قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى • وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة • وانواع السعادة •
وشتات الانعام في الدارين والزيادة • قال ابن اسحق يرضيه بالفلج
في الدنيا والثواب في الاخرة • وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي
عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى
منها • ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من
امته النار • الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من
الاية قبله في بقية السورة من هذا الى ما هداه له او هداية الناس
به على اختلاف التفاسير • ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في
قلبه من القناعة والغنى • ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه •
وقيل اواه الى الله • وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه • وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا • واغنى بك عائلا واوى بك يتيما •
ذكره بهذه المنن • وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في
حال صغره وعيلته ويتمه • وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه • السادس امره باظهار نعمته
عليه • وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله • واما بنعمة ربك

الحديث

فحدث • فإن من شكر النعمة التحدث بها • وهذا خاص له عام لأمته •
وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد راى من آيات ربه الكبرى •
اختلف المفسرون في قوله والنجم بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القرآن • وعن جعفر أنه محمد عليه السلام • وقال سهل هو قلب
محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم
الثاقب • أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي •
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد • وأقسم جل
اسمه على هداية المصطفى • وتنزيهه عن الهوى • وصدقه فيما تلا • وأنه وحي
يوحى • أوصله إليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى • ثم أخبر تعالى
عن فضيلته بقصة الإسرا • وانتهائه إلى سدرة المنتهى • وتصديق بصره
فيما رأى وأنه راى من آيات ربه الكبرى • وقد نبه على مثل هذا تعالى في
أول سورة الإسرا • ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات • ولا تستقل بحمل
سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم •
فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى • وهذا النوع من الكلام يسميه
أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز •
وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى • انحسرت الأفهام عن تفصيل
ما أوحى • وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى • قال القاضي أبو
الفضل رضي الله عنه واشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكيه

جملته عليه السلام • وعصمتها من الآفات في هذا المسرى • فزكى فؤاده
ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى • ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى • وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى • وقال
تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم •
لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم عنده مرسله ذي قوة
على تبليغ ما حمله من الوحي • مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل
عنده • مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي • قال علي بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على
هذا له • وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه • ولقد رآه يعني
محمدا قيل رأى ربه • وقيل رأى جبريل في صورته • وما هو على الغيب
بظنين أي بمتهم • ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به
والتذكير بحكمه وبعلمه • وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق •
وقال تعالى ن والقلم الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على
تنزيه المصطفى مما غمصه الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه
وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون • وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة • وأعلى درجات الآداب في المحاورة • ثم
أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا
يمتن به عليه • فقال وإن لك لأجرا غير ممنون • ثم أثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه إليه • وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد •

فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع
الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على
ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى إليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما
أغمر نواله وأوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به
من عقباهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من
خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين
ثم ختم بعد ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه
ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

قال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل
طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه
يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي
أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والها كناية عن الأرض
أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم

واحدة

واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن
القاضي أبو الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت حدثنا ابو ذر الحافظ
حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا ابرهيم بن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن
حميد حدثنا هاشم بن القسم عن أبي جعفر عن الربيع ابن أنس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل
الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة
وإن جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل أو جعلت قسما
لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي
قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا لعلك
باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الى قوله تعالى ولقد نعلم أنك
يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ
برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما
يلقى من المشركين وأعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن

قبله • ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون • عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله • ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك • ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت • ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا • أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك • سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته • قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين • قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية • قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته • وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به • وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم • وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم • قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية • وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول • قال قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره • قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم • المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر • وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية • قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود • وأحلت له الغنائم • وظهرت على يديه المعجزات • وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها • قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه • فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول • وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على

صلى الله عليه وسلم

محمدا أي من شيعة محمد لابرهيم أي على دينه ومنهاجه واختاره
الفرا وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل
الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه
العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها
من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من أبين
ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرايته العذاب عن أهل مكة
بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا
أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى بن
زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي
حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن
اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة
بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما

كان

كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم
الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان
الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا أميتت
سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته
عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه فالصلاة
من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ
الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين
في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى
لنبيه قال أليس الله بكاف عبده والها هدايته قال ويهديك صراطا
مستقيما والياء تأييده قال وأيدك بنصره والعين عصمته له
قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملئكته
يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
الآية أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة
وقيل أبو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل
التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق أيديهم
تضمنت هذه الآية من فضله والثنا عليه وكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل
جلاله باعلامه بما قضاه من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه
وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما يكون
قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال
مكي جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه
له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على
امته المومنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء
منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه
وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة لهم
ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليومن بالله ثم

به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل يبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظمونه وقراه بعضهم
يعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد
صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن
عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من
الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة
وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام
الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة
الكاملة والهداية وهي من الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن
محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به
شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما
زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته
الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين بايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه
وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام
وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما

رميت اذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز
وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة
البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم
تملا عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في
هذه الآية الأخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي
ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصا والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل
الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما
اظهره الله في كتابه من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه
به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى
من قصة الإسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك
الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به
عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا
في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والستر في قصة

الغار وحديث المعجزة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر اعلمه الله عز وجل بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الأبتر اي
عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد او الذي لا
خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم ام القرآن
وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم
وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها
تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه
وسلم وذخرها له دون الأنبيا وسمي القرآن مثاني لأن القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى
وانزلنا اليك الذكر الآية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الآية قال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى

الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الأحمر
والأسود • وقال تعالى النبي أولى بالمومنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم • قال أهل التفسير أولى بالمومنين من أنفسهم أي ما
أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على
عبده • وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس • وأزواجه أمهاتهم
أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة • وقد قرئ
وهو أب لهم ولا يقرى به الآن لمخالفته المصحف • وقال تعالى
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية • قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل • وأشار الواسطي الى انها اشارة إلى
احتمال الرويه التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم ك

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينيه والدنيويه فيه نسقا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم • الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم • ان خصال الجلال
والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة
الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله
زلفى • ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها
ما يتمازج ويتداخل • فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان في كمال خلقته وجمال صورته وقوة

عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه • وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد
بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة • وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية
والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق • وقد تكون من هذه الأخلاق ما
هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه
فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة
شعبة كما سنبينه ان شا الله • وتكون هذه الاخلاق دنيوية ان لم
يرد بها وجه الله والدار الآخرة • ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق أصحاب العقول السليمة • وان اختلفوا في موجب حسنها
وتفضيلها فصل اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنين ان اتفقت له في
كل عصر • اما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو
سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال وتتقرر له

بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمه • وهو منذ عصور خوال
رمم بوال • فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الخصال الى
ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيله • الا
بتخصيص الكبير المتعال • من فضيلة النبوة والرسالة والخله
والمحبه والاصطفاء والاسراء والروية والقرب والدنو والوحي
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعه والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء
والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشاره
والنذاره والمكانه عند ذي العرش والطاعه • ثم والامانه •
والهدايه ورحمة العالمين • واعطا الرضا والسول والكوثر وسماع
القول • واتمام النعمه والعفو عن ما تقدم وما تاخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر • وعزة النصر ونزول السكينه •
والتاييد بالملئكه وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران
العظيم • وتزكية الامه والدعاء الى الله وصلاة الله والملئكة والحكم
بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم • واحيا الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر •
ورد الشمس وانقلاب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمامة وتسبيح الحصا وابراء الالام • والعصمه من

الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله
به لا اله غيره الى ما اعد له في الاخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس • ومراتب السعادة والحسنى • والزيادة التي تقف دونها
العقول • ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء
على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم
محلا واكملهم محاسن وفضلا • وقد ذهبت في تفاصيل خصال
الكمال مذهبا جميلا • شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا • فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبه وفي جبلة الخلقه وجدته حايزا لجميعها
محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقله الاخبار لذلك بل قد
بلغ بعضها مبلغ القطع • اما الصورة وجمالها وتناسب اعضايه في
حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشه
ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد
وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد
وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحيه تملا صدره سوا البطن والصدر

واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربه ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الي الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البرا ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر بن سمره وقال له رجل كان وجهه مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جا فيها وجملة من ما فيه الكفايه في القصد الي المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شا الله تعالى فصل واما نظافه جسمه وطيب ريحه

وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافه الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين علي النظافه حدثنا سفين بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبه حدثنا جعفر بن سليمن عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمره انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجات امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروي المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوه بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكي بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم

انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غايطه وبوله
وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه وسلم • وهذا الخبر وان
لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين
منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي • وقد
حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية • وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه
شي يكره ولا غير طيب • ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر الى ما يكون من الميت فلم
اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا • ومثله قال ابو بكر حين قبل النبي صلى
الله عليه وسلم بعد موته • ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام ويل لك
من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه • وقد روي نحو من هذا
عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة • وحديث هذه المراة التي
شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح
واسم هذه المراة بركة • واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم
النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وسقطت عنه زبح طيبة لم يكاد منها قط وامر

قدح من عيدان يوضع تحت سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه
ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم • وروى حديثها ابن جريج وغيره • وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة
وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط • وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه • وفي حديث
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا • قال عكرمة لانه
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله
وذكا لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن
شمايله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره
امور بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من
الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب
منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما
لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه • وقد قال وهب بن منبه قرات في احد
وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا • وفي رواية اخرى فوجدت في

وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر من الام وليس من الرواية

جميعها ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من
العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني لأراكم من وراء
ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشه مثله قالت
زيادة زاده الله اياها في حجته وفي قولها في بعض الروايات اني لأنظر
من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لأبصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشه كان
النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملئكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين
وصفه لقريش والكعبة حتى بنى مسجده وقد حكي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من
خواص الانبيا وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل من كتابه اخبرنا ابو الحسن المقرى الفرغاني حدثتنا ام القسم
بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني

اخبرنا محمد بن محمد بن سعيد اخبرنا محمد بن احمد بن سليمن
اخبرنا محمد بن محمد بن مرزوق اخبرنا همام اخبرنا الحسن عن
قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في
الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا بما
ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه
الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان
دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا
وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته
كأنما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا
كأنما ينحط من صبب فصل واما فصاحة لسانه وبلاغة القول فقد
كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا
يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص
ببدائع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاور
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من الصحابة
يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل

حديثه وسبره علم ذلك وتحققه ۝ وليس كلامه مع قريش والانصار
واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفه
النهدي وقطن بن حارثه العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن
حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن ۝ وانظر
كتابه الي همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانه ۝ ولهم من الصدقه الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح ۝ وقوله لنهد
اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوه كان مسلما
ومن اتي الزكوه كان محسنا ۝ ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا
لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوه
ولا تلحد في الحيوه ولا تثاقل عن الصلوه وكتب لهم في الوظيفه
الفريضه ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق ولا تاكلوا الرباق ومن اقر فله الوفا بالعهد
والذمه ومن ابي فعليه الربوه ۝ ومن كتابه لوايل بن حجر الي
الاقيال العباهله والارواع المشابيب ۝ وفيه في التيعه شاه لا مقوره
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجه وفي السيوب الخمس ۝ ومن

زني من بكر فاصقعوه مايه واستوفضوه عاما ۝ ومن زنا من ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ۝ ولا غمة في فرايض الله
وكل مسكر حرام ۝ ووايل بن حجر يترفل علي الاقيال ۝ اين هذا من
كتابه لانس في الصدقه المشهور لما كان كلام هولاء علي هذا
الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم ۝ وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطيه السعدي ۝ فان اليد العليا هي المنطيه
واليد السفلي هي المنطاه قال فكلمنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
بلغتنا ۝ وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلي
الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغه بني عامر ۝
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومه وجوامع كلمه وحكمه
الماثوره فقد الف الناس فيها الدواوين ۝ وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحه ولا يباري بلاغه كقوله
المسلمون تتكافا دماوهم ويسعي بذمتهم ادناهم وهم يد علي من
سواهم ۝ وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في
صحبه من لا يري لك ما تري له والناس معادن وما هلك امرء عرف
قدره ۝ والمستشار موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم ۝ وقوله اسلم تسلم واسلم
يوتك الله اجرك مرتين ۝ وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم

مجلس

القيمة أحاسنكم أخلاقًا الموطؤون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو
الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا ونهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الأمور أوساطها وقوله أحبب حبيبك هونًا
ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وقوله في بعض دعائه اللهم
إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الأعداء إلى ما روته الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من
ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقًا لا يقدر قدره وقد
جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه
عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها مما يدرك الناظر العجب
في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه
ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن

بلسان

وسلم

وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة

مرتبة

بلسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد
الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم فصل وأما شرف نسبه صلى الله عليه وسلم وكرم بلده ومنشئه
فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه
فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم
نفرًا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه
الله حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف حدثنا أبو ذر عبد بن
أحمد حدثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا حدثنا محمد
بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد
حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن أبي سعيد المقبري
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
وعن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل

فمما

فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم وعن وائلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فصل واما ما تدعوه ضرورة الحيوة اليه من ما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب

الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذا والنوم ولم تزل العرب والحكما تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على السفولية والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما نعلم ضرورة ويوجد مشاهدة ونقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكما السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمن بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معويه بن صالح ان

يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب • قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل • وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا • وقد روي عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي • وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتل جوف رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط • وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة • وقوله ألم أرى البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا تحل له صلى الله عليه وسلم فاراد بيان سنته إذ راهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه • وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية • وفي حكمة لقمن يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضا عن العبادة • وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع • وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل

فترقدوا

متكيا والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته • والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا • ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد • وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين • وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة • حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول • وإذا نام النايم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني هو ما يتعلق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية • ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية • وأما في الشرع فسنة مأثورة • وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم • وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فإني مباه بكم الأمم

يتفق

يوم القيمة ونهي عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
اللذين نبه عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره
العلما مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن إلى سيد
المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في
ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شي وقد كره غير
واحد ان يلقى الله عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من
الفضايل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله انه كان حصورا فكيف
يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى بن مريم عليه
السلام بتل من النسا ولو كان كما قررته لنكح فاعلم أن ثنا الله
على يحيى انه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا
أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالانبيا وانما معناه انه كان معصوما من
الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من
الشهوات وقيل ليست له شهوة في النسا فقد بان لك من هذا
أن عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة
ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله
كيحيى بن زكريا عليه السلام فضيلة زايدة لكونها شاغلة في

كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي
درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ
دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم
فدل على ان حبه لما ذكر من النسا والطيب اللذين من دنيا غيره
واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوايد التي ذكرناها في
التزويج وللقا الملايكة في الطيب ولانه أيضا من ما يحض به
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في
مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى
وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى
الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه
ولهذا أبيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس انه
صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسايه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث انه أعطي قوة ثلثين
خرجه النساي وروي نحوه عن أبي رافع وقد قال سليمن عليه

السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وانه فعل
ذلك • قال ابن عباس كان في ظهر سليمن ماء مائة رجل وكانت له
ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية • وحكى النقاش سبعمائة امراة
وثلثمائة سرية • وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل
يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك
في الكتاب العزيز بقوله تعالى • إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة •
وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش • وأما الجاه فمحمود عند العقلا
عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب • وقد قال الله تعالى في صفة
عيسى عليه السلام • وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح
ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض • وكان
صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
أصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا
أمره وقضوا حاجته • واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها •
وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها
لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي
حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فأرعد فقال هون عليك

فقال

فإني لست بملك الحديث • فأما عظيم قدره بالنبوة وتشريف منزلته
بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ
النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم بأسره فصل وأما الضرب الثالث فهو ما
تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه • والا فليس فضيلة في
نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند أهل الدنيا • واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير
وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال •
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على
جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على
جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة
فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو
للتوصل الى غيره • وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح به عند أحد من العقلا • بل هو فقير أبدا غير واصل

كثيره

التمدح

إلى غرض من اغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط
عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده
منه شي • والمنفق مليّ غنيّ بتحصيله فوايد المال وإن لم يبق
في يده من المال شي فانظر في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله • وفتح عليه في حيوته
صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن • وجميع جزيرة العرب
وما داني ذلك من الشام والعراق • وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم • فما استاثر بشي منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه • واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال ما يسرني أن لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا
أرصده لديني • ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكسا الخشن • والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
الديباج المخوصة بالذهب • ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في
الملابس • والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة •
وهي من سمات النسا • والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط

في جنسه • وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه من ما لا يؤدي إلى
الشهرة في الطرفين • وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في
العادة عند الناس انما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور
الحال • وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير
الاته وخدمه ومركوباته • ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها •
فترك ذلك زهدا وتنزها • فهو حايز لفضيلة المالية ومالك للفخر
بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زايدا عليها في الفخر ومعرق في
المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها فصل
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة • التي
اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه • واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدايمة للمتخلق بها • ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة • وهي المسماه
بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوة النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل إلى منحرف اطرافها فجميعها • فقد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها • والاعتدال إلى غايتها حتى
اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم • قالت عايشة رضي
الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه • وقال عليه
السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق • قال انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن الناس خلقا • وعن علي بن ابي طالب رضي

في

الله عنه مثله • وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها من أصل خلقته
وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية
ربانية وهكذا لسائر الأنبيا • ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم
حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمن
وغيرهم عليهم السلام • بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة • قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا • قال المفسرون
أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه • وقال معمر كان ابن
سنتين أو ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ألِلّعب خلقت •
وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو
ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في
بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم اني أجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له • وقد نص الله على كلام عيسى لأمه عند ولادتها
اياه بقوله لها ألا تحزني على من قرا من تحتها • وعلى قول من قال ان
المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا • وقال ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما
وعلما • وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه • وحكى الطبري ان عمره
كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما • وكذلك قصة موسى مع
فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل • وقال المفسرون في قوله ولقد

آتينا

آتينا ابرهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره •
وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه • وقال بعضهم لما ولد ابرهيم
بعث الله ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال
قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده • وقيل ان القا ابرهيم عليه
السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة • وان ابتلا
اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين • وان استدلال ابرهيم بالكوكب
والقمر كان وهو ابن خمسة عشر شهرا • وقيل أوحي الى يوسف
وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى •
وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الأرض رافعا رأسه
الى السماء • وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
الي الأوثان وبغض الي الشعر ولم أهم بشي مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين • فعصمني الله منهما ثم لم أعد • ثم
يتمكن الأمر لهم • وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار
المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله
تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية
دون ممارسة ولا رياضة • قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى
آتيناه حكما وعلما • وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه

الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها
عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقه بعض الصبيان على
حسن السمت والشهامة أو صدق اللسان أو السماحة وكما
نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا
ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى
الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وعزيزة في
العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو
والصواب ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها
الله حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة
ولكنا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى
الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل اما أصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل

وقد أشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه
ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من
ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد
سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره
وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات
الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة
واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان
أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص
وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر
ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه

وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو تنتهي إليه. فصل
وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الألقاب فرق، فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب
المحركات، والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة. وأما العفو فهو ترك المؤاخذة. وهذا
كله مما أدب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال
خذ العفو وأمر بالعرف الآية. وروي أن النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى
أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. وقال له واصبر على
ما أصابك الآية. وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
وقال وليعفوا وليصفحوا الآية. وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن
عزم الأمور. ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حليم
قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة، وهو صلى الله عليه وسلم
لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما. حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن
عتاب حدثنا أبو بكر بن وافد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن
عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين

قط

قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه. وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن
تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها. وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على
أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني
بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. وروي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا
رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض الآية
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا. فلقد وطئ ظهرك
وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه انظروا في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا
عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر
واهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر
عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون. ولما قال له الرجل اعدل
فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين
له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن

تعالى صح

يعدل إن لم أعدل خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل • ونهى من
أراد من أصحابه قتله • ولما تصدى له غورث بن الحرث ليفتك به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قايلاً
والناس قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قايم والسيف صلتاً في يده فقال من يمنعك مني فقال
الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجا إلى قومه
فقال جيتكم من عند خير الناس • ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاه بعد اعترافها على
الصحيح من الرواية • وانه لم يواخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره
وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلاً عن
معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من
المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً • بل قال لمن
أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه • وعن
أنس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه أعرابي بردايه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لِّي [sic] على بعيريّ هذين من
مال الله الذي عندك فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك •
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا

عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال
لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أمر أن تحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر • قالت عايشة
رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من
مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله • وما ضرب بيده
شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة
وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي • وجاءه
زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجبذ ثوبه عن
منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد
المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله
عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا
إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضا وتأمره
بحسن التقاضي • ثم قال لقد بقي من أجله ثلث وأمر عمر يقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه فكان سبب إسلامه •
(وكان صح)
وذلك أنه يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد
إلا اثنين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
إلا حلماً • فاختبره بهذا فوجده كما وصف • والحديث عن حلمه
عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه
(القدره)

وحسبك ما ذكرناه من ما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما
بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية
ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم وإبادة
خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون إني فاعل
بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما
قال أخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال
أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم فأنزل
الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفين
وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه
ومثل بهم فعفى عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبي سفين ألم
يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك
وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد
الناس غضبا وأسرعه رضا صلى الله عليه وسلم فصل وأما الجود
والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عن ما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد

رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشكاسة والسخا سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
أبو الوليد الباجي حدثنا أبو ذر الهروي حدثنا أبو الهيثم الكشميهني
وأبو محمد السرخسي وأبو إسحق البلخي قالوا حدثنا أبو عبد الله
الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفين عن
ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى
الله عليه وسلم شيئا فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال
ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود
ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام
أجود بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه
غنما بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطا
من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه
وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل إنك تحمل الكل
وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف
وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون
ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد

سائلا حتى فرغ منها • وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه • فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي • وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا • قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد • والخبر بجوده وكرمه كثير • وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا • وقال نصفه قضاء ونصفه نائل فضل • وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي لا يجهل • قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة • وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح • وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه • حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي • حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحق سمع البراء بن عازب وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه • وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته • وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين • فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه • ثم نادى يا للمسلمين الحديث • وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء • وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو • وكان من أشد الناس يومئذ بأسا • وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى

ولا افضل

صلى الله عليه وسلم ... وسق بطعام

الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه. وعن أنس كان النبي صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد
فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو
يقول أين محمد لا نجوت إن نجا. وقد كان يقول للنبي صلى الله
عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا
من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن
شاء الله تعالى فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن
الصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير الشعرا عن ظهر البعير إذا
انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع
إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان
ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق
علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة. فصل وأما الحيا

والإغضا والحيا رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع
كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله. والإغضا التغافل عما يكره
الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حيا
وأكثرهم عن العورات إغضا. قال الله سبحانه إن ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الآية. حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسمعيل حدثنا عبدان انا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت
عبد الله مولى أنس يحدث عن أبي سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشد حيا من العذرا في خدرها وكان
إذا كره شيا عرفناه في وجهه. وكان صلى الله عليه وسلم لطيف
البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حيا وكرم نفس
وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال
أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله. وروى
أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا
يواجه أحدا بما يكرهه فلما خرج لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن

يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي وروي عنه أنه كان من
حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عن ما اضطره
الكلام إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل وأما حسن عشرته وأدبه
وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام
كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة
وأكرمهم عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما
أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد
بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام حدثنا
أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا
الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثنا محمد بن
عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال يا سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب
فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وكان

النبي صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن
يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه
من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن أبي هالة قال دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء
صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي
الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ
أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم

ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم احد اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي
رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم
ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام
ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له
ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها
إن أبى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس إليه احد وهو
يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد إلى
صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحرث ما رأيت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس
كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بآنيتهم فيها الما فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما

الشفقة

الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا
الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقرائتي عليه حدثنا
امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا ابو الطاهر حدثنا ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم
مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق إلي فما
زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق إلي وروي ان اعرابيا جاءه
يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت إليك قال الاعرابي لا
ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فاشار إليهم ان كفوا
ثم قام ودخل منزله وارسل إليه وزاده شيئا ثم قال له احسنت
إليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من

ابنا بن

لمن ابغض

ذَلِكَ شيً فَإِنْ أَحْبَبتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِم عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا كَانَ الغدا والعشيُّ جَآءَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انَّ هَذَا الاعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ انَّهُ رَضِيَ أَكَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِن اهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَأَتْبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا الَّا نُفُورًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَانِّي أَرْفَقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ • وَرُوِيَ عَنْهُ أنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ • وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَا خَوْفَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ • وَخَبَرِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الوِصَالِ وَكَرَاهَتِهِ دُخُولَ الكَعْبَةِ لِئَلَّا تُعْنِتَ أُمَّتَهُ وَرَغْبَتِهِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبَّهُ وَلَعْنَهُ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ • وَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بُكَآءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ • وَمِنْ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ دَعَا رَبَّهُ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَوةً وَرَحْمَةً وَصَلَاةً وَطَهُورًا •

مخافه

تتعب

وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَمَةِ • وَلَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ انَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ أَمَرَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَاهُ مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ • وَقَالَ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ انْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ • قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُوا أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً • وَرَوَى ابْنُ المُنْكَدِرِ انَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ • قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انَّ اللَّهَ أَمَرَ السَّمَآءَ وَالأَرْضَ وَالجِبَالَ ان تُطِيعَكَ فَقَالَ أُوخِرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ • قَالَتْ عَايِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ الَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا • وَعَنْ عَايِشَةَ أَنَّهَا رَكِبَتْ بَعِيرًا وَفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَصْلٌ وَأَمَّا خُلُقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الوَفَاءِ وَحُسْنِ العَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ • فَحَدَّثَنَا القَاضِي أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ الحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ النَّحَّاسِ • حَدَّثَنَا ابْنُ الأَعْرَابِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا إِبْرَهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ •

آخر الجزء الرابع من ثلثين ٥

عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فإذا هو في مكانه
فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلث انتظرك وعن أنس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها
إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة
وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت
أسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذن
عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن
السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا أيام خديجة وان
حسن العهد من الإيمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل
ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله
عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما
سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها وعن أبي قتادة قال
وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه
فقال له أصحابه نكفيك فقال أنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
واني أحب أن أكافئهم ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء
في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان أحببت

هاهنا

أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت
قومها فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا
غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه
فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وعن عمرو بن السائب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من
الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفي حديث
خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله
لا يحزنك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل وأما
تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون
نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من تنشق عنه الأرض وأول
شافع حدثنا الفقيه أبو الوليد بن العواد رحمه الله بقراءتي عليه
في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة حدثنا أبو علي الحافظ حدثنا
أبو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن
أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن
أبي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا
على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم
بعضها بعضًا وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه
ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
أصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد
فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس ان امراة كان في عقلها شي
جاته فقالت شيئا أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان
يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف قال
وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال وحج
النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت
الأرض عليه واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد

حطته

يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبيا ولا
تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبرهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية
ذاك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن
شا الله تعالى وعن عايشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته
وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه
ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن أنس ان كانت الأمة من إما المدينة

أهل مصر

لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شات حتى
يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له
هون عليك فإني لست بملك انما أنا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وعن أبي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد
النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا يفعله الأعاجم
بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله
فقال صاحب الشي أحق بشيه أن يحمله فصل واما عدله صلى الله
عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم

أمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان
اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين
قال ابن اسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله
عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن
يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به
وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في
السماء أمين في الأرض حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه
حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو
علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ
حدثنا أبو كريب حدثنا معوية بن هشام عن سفين عن أبي إسحق
عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فإنهم لا يكذبونك
الآية وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل ان الأخنس
بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفين

فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر
بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم
حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما
جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست
يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام
أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل اذا لم
أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن
كان اثما كان أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه
فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة أجزاء جزء لله وجزء
لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس وكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي
فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف
أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن
علي عنه عليه السلام ما هممت بشيء من ما كان أهل الجاهلية يعملو

قط

به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم
ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته فقلت ليلة لغلام كان يرعى
معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني
فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة
أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء فصل وأما وقاره صلى الله
عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني
الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا أبو العباس الدلاي حدثنا
أبو ذر الهروي حدثنا أبو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو
داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد عن عبد
الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب سمعت خارجة
بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك
كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة أنه
تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير
جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير

وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه
مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه
الحرم وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وفي
صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث
الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه أنه غير غرض ولا
وكل أي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن
أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله
كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن
أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها
كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه
عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك
وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل وأما
زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك
من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها
وترادفت عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق

ال محمد قوتا حدثنا سفين بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ
والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو
العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا
ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه حدثنا ابو معويه
عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلثه ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شا لاعطاه
الله ما لم يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وقالت عايشه رضي
الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه
وارضا جعلها صدقه قالت عايشه ولقد مات وما في بيتي شي
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان
يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما
اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع
فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه
فقال له ان الله يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه
الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا
جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها

من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عايشه قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا ان هو الا التمر والما وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عايشه وابي امامه وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعه
طاويا لا يجدون عشا وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راي
شاة سميطا قط وعن عايشه انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما
حشوه ليف وعن حفصه كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما
اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان
وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام على سرير مرمول بشريط
حتى يوثر في جنبه وعن عايشه قالت لم تمتل جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقه احب
اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع
فلا يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من

الدنيا مما يقولك فيقول يا عايشه ما لي وللدنيا إخواني من اولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما
من شي هو احب الي من اللحوق باخواني واخلاي قالت فما اقام
بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه
ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما
حدثناه ابو محمد بن عتاب قراة مني عليه حدثنا ابو القسم الطرابلسي
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله
الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث
عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه
الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى
الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت
اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة

صلى

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
انه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشا ان تراه من الليل
مصليا الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما وقال عوف بن مالك
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام
يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر على اية رحمة الا
وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر
قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد
فقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله قال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة
وعن عايشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران
ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان صلى
الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة

القراءة

وقال عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن في هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أفضل الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى فإذا هو رجل ربعة كثير جلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي

كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو ... [illegible]

حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد ابرهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى ثروة أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الأنبياء تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا وقال إن الله يبشرك بيحيى إلى الصالحين وقال إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين وقال عبد الله أنا في الكتاب إلى ما دمت حيا وقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم إني لكم رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم

رجائي

الرسل

من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الآيه إلى
قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتبا والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاهم رسول كريم إلى امين وقال
ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق
الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد
انه اواب وقال واذكر عبادنا إبرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار إلى الاخيار وفي داود إنه اواب ثم قال وشددنا ملكه
واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على
خزاين الارض إني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا
وقال وما اريد ان اخالفكم إلى ما انهاكم عنه ان اريد الا الإصلاح ما
استطعت وقال ولوطا ابيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الآيه وقال سفين هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر
فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الداله على كمالهم وجا من ذلك
في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمن
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السما تخشعا وتواضعا لله
وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمه ويأكل خبز الشعير واوحي

محجه

الله إليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض قال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة عليه السلام خفف على داود
القران وكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا
ياكل الا من عمل يديه قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات
وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
مال الله وقال عليه السلام احب الصلوة إلى الله صلوة داود واحب
الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطية ولا شاخصا ببصره إلى السما
حيا من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت
العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله ان
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن
له بيت انما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي إليه ان يقال
له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ما مدين كانت ترى

خضرة البقل في بطنه من الهزال ۝ وقال عليه السلام لقد كان الأنبياء
قبلي يبتلي أحدهم بالفقر والقمل ۝ وكان أحب إليهم من العطاء
إليكم ۝ وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل
له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني المنطق بسوء ۝ وقال مجاهد
كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله عز وجل حتى
اتخذ الدمع مجرى في خده ۝ وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب أن موسى كان يستظل بعريش ويأكل
في نقرة من حجر ۝ ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة
تواضعا لله بما أكرمه به من كلامه ۝ وأخبارهم في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق ۝ وحسن الصورة والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت إلى ما تجده في كتب
بعض جهلة المؤرخين والمفسرين من ما يخالف هذا فصل فذا بينا
أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة ۝ والفضائل المجيدة
وخصال الكمال العديدة ۝ وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم
وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع ۝ والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء ۝ وبحر علم
خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ۝ ولكنا أتينا فيه بالمعروف من ما
أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات ۝ واقتصرنا في ذلك
بقل من كل وغيض من فيض ۝ ورأينا أن نختم هذه الفصول

بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه
كثيرا ۝ وإدماجه جملة كافية من سيرة وفضائله ۝ ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله ۝ حدثنا القاضي أبو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا
الإمام أبو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه
الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري ۝ والشيخ الفقيه
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي ۝ والقاضي أبو علي الحسن
بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا أبو القسم علي بن أحمد بن محمد
بن الحسن الخزاعي حدثنا أبو سعيد القسم بن كليب الشاشي حدثنا
أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ حدثنا سفين بن وكيع
حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثنا
رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها
يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب
رحمه الله قال سألت خالي هند بن أبي هالة ۝ قال القاضي أبو علي رحمه
الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن علي بن أحمد
بن خذاذ الكرخي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن
الحسين بن خيرون قالا حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن ابرهيم بن
الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه
فأقر به حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر

بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني
علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى ~~بن جعفر~~
بن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال
الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة
عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن
يصف لي منها شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من
المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أزهر
اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله
أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين
المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك أشعر
الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب

الراحة

الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال
سائن الأطراف وسابر الأطراف سبط العصب خمصان
الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا
ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من
صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض
أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه
ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست
له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول
فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن
دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه
اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
أعرض وأشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم
ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي
زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا

القصب

قال الحسين سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك وكان إذا
أوى إلى منزله جزا دخوله ثلثة اجزا جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه
ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا
يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الأمة اثار أهل الفضل
باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة وذو
الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ
الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم
القيمه لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث
سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق
ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
إلا من ما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد
بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسل الناس عن ما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر

وقسمه

عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه الناس خيارهم وافضلهم
عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة
وموازرة فسألته عن مجلسه عن ما كان يصنع فيه فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن
الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها
أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى
صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وأمانة لا
ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة
من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عن ما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث
من الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم

أحدًا ولا يعيّره ولا يطلب عورته ولا يتكلّم إلا فيما يرجوا ثوابه
إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير وإذا سكت
تكلّموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث أولهم يضحك ممّا يضحكون منه ويتعجب ممّا يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب
الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا
يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهى
حديث سفين بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسويه النظر والاستماع بين
الناس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع
أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي
بما أصلح أمته والقيام لهم أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد
الله تعالى وعونه **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله
قوله المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث
الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته وأزهر

اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا أي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم
والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون ومثله في الحديث
الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل
الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل
قصبة الأنف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد سواد الحدقة
وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين وهو الذي في
بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضًا مثل
قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس مسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما
ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال
وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره
قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر
أي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه

ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث
الأخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وسن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما
الذراعين وسايل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الانباري
انه روي سايل الأطراف أو قال ساين بالنون قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وساير
الأطراف فاشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب
الراحة أي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء والجود خمصان
الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض
من وسط القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال إذا وطئ بقدميه
وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح
لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي أو قصده والهون الرفق
والوقار والذريع الواسع الخطو أي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل
ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال فكأنما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه أي لسعة فمه والعرب تمادح بهذا

وتلقم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما
يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين
لما عنده ولا ينصرفون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء
الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا
يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في
غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا
تؤبن فيه الحرم أي يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته أي تحدث بها
أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت ويرفدون
يعينون والصخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل الثناء إلا
من مكافئ مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا
من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه
يستخفه وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب أي قليل
لحمها وأهدب الأشفار أي طويل شعرها الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم
لا خلاف انه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة

لبين

عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الوارده
في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا
معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول فيما ورد

من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعه الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب ⁌ اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل إذنا بلفظه ⁌ حدثنا ابو الحسين الفرغاني حدثنا ام القسم بنت
أبي بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى
وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن
عباية بن ربعي عن ابن عباس ⁌ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا خير اصحاب اليمين ⁌ ثم جعل
القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ⁌ وذلك قوله أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير
السابقين ⁌ ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية ⁌ فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم
على الله ولا فخر ⁌ ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا ولا فخر
فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية ⁌
وعن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك

قال

قال وآدم بين الروح والجسد ⁌ وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل ⁌
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة ⁌ واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن
حديث أنس انا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ⁌ وفي حديث ابن
عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر ⁌ وعن عايشه عنه عليه
السلام أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر
رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم ⁌ وعن
أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب
عليه فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على
الله منه فارفض عرقا ⁌ وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله
آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب
الكريمة الى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا
على سفاح قط ⁌ والى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
بقوله فيه ⁌

من قبلها طبت في الظلال وفي ⁌ مستودع حيث يخصف الورق ⁌
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا ⁌ مضغة ولا علق ⁌
بل نطفة تركب السفين وقد ⁌ ألجم نسرا وأهله الغرق ⁌
تنقل من صالب الى رحم ⁌ إذا مضى عالم بدا طبق ⁌

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وروى عنه عليه السلام أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا
وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلوة فليصل وأحلت لي
الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة
وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى
وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى
الأحمر والأسود قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة
فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل
الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت
بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن
الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن
عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم
واني والله لأنظر إلى حوضي الآن واني قد أعطيت مفاتيح خزائن
الأرض واني والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني أخاف
عليكم أن تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي وأوتيت جوامع
الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال
قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمن
ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من
ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد
قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم
أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه
أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون
ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي
المغانم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن أبي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الأنبياء
إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي
أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا إلى يوم
القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر

معجزات الأنبيا ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة
القرآن تقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا اخبارا إلى يوم القيمة وفيه
كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى
هذا أخوات المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة
نجبا من أمته وأعطي نبيكم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لا تحل لأحد بعدي
وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم
لمنجدل في طينته وعدة أبي إبرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن
عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السما وعلى
الأنبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل السما قال ان الله تعالى
قال لأهل السما ومن يقل منهم اني إله من دونه الآية وقال لمحمد إنا
فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله على الأنبيا قال ان الله قال وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما أرسلناك إلا كافة
للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن
أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي
إبرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى

ورأت أمي حين حملت بي انه خرج نور منها أضاله قصور بصرى من
أرض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف
بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في
غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج
حتى أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا هو خاتم
في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا إيمانا وحكمة
ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتام وفي روا
أن جبريل عليه السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان
بصيران واذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من
أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم
ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو
وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم
وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما
ذا يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما أكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث أبي
ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد
مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال

اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله
من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا
عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية
أخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب
لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بأبي محمد
وقيل بأبي البشر وروي عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة
سياحين عبادتها كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد
صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش
مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته به تعالى وفي
التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها
كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد

عجيب

عجيب

رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري
أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد وعلى جنبيه مكتوب
لا إله إلا الله وعلى الآخر مكتوب محمد رسول الله وذكر الأخبار
أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالأبيض لا إله إلا الله
محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم
القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في
جامعه عن مالك قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد إلا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر أحدكم أن يكون في
بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود أن الله نظر
إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من
بعده الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني عليكم
تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في
تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة
الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه
الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الإسراء وما

أنطوت عليه من درجات الرفعة من ما نبه عليه الكتاب العزيز
وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء
به عليه السلام إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه
وخواص نبينا عليه السلام فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا
أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي والفقيه أبو بحر سماعي عليهما والقاضي
أبو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس
العذري حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا
ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد
بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى
أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر
وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا

صلى الله عليه وسلم

فإذا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني
الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي
ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول
ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر
الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة
وذكر مثله وإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله
فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء
السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبرهيم مسندا
ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان
الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت
فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله تعالى
إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى
فقال ما فرض ربك على أمتك فقلت خمسين صلوة قال ارجع إلى
ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت

بني إسرايل قبلك وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف
عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال
إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فسأله التخفيف قال فلم أزل
أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم يكتب شيئا فإن عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى
انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا
الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد بأصوب من هذا وقد خلط فيه
غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما رواية شريك بن أبي نمر فقد
ذكر في أوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما
كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل
أن يوحى إليه وذكر قصة الإسرا ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد
روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجي جبريل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة منفردة من حديث الإسرا كما رواه الناس

آخر الجزء السادس من ثلثين

عنه

القصة

جود في القصتين وفي أن الإسرا إلى بيت المقدس وإلى سدرة
المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من
هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن
شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وإيمانا فأفرغها
في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى السماء فذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبيا في السموات
وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء
زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبرهيم
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس ثم انطلق بي
حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته
الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة وقد رأيتني في
جماعة من الأنبيا فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل يا محمد

بلغ

جي

فبادآني

هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث
أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد أرسل
إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة
ثم لقوا أرواح الأنبيا فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم
إبرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله
عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال
كلكم أثنى على ربه وأنا اثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس أجمعين بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شي وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا
وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا
فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به إلى السما الدنيا ومن سما إلى سما
نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى
وهي في السما السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض
منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة
من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي

خلا

إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج
من أصلها أنهار من ما غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار
من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها
نور وغشيتها الملئكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى
فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت إبرهيم خليلا
وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا
عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمن ملكا
عظيما سخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا
لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته
يبري الأكمه والأبرص وأعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم
يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب
في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت
أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا
وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي ولم أعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما وفي الرواية الأخرى قال فأعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة

وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات • وقال ما كذب
الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح • وفي
حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله
تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن
أن يرفع علي أحد • وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى
بالأنبياء ببيت المقدس • وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل عليه السلام
بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها
جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من
محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي
الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني
لأقرب الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي فقال
الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا
أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه
لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح • وقال
ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح
قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية أكمل الله لمحمد

صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض • قال القاضي
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه
إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه
وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا
إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ
خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من
ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من ورائه أن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل أن هذا الحجاب لم يختص بالذات • ويدل عليه قول كعب في
تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
أمر الله لا يجاوزها علمهم • وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف أي الذي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته أو مبادي
حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها
فقيل من وراء الحجاب صدق أنا أكبر ظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام
الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول
بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن

بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم فصل
ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم
أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم في
المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة
وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن
مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وإبرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج
وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس
وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية
الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف

اسرى

النبي

النبي محمد به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو
كان الإسراء بجسده إلى زايد المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في
المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس أم لا
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة
بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال
القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه
إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح
الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا
عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده في حال يقظته استحالة إذ
لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل
هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن
خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من
ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على
ما روي غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء
فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني

بالجسد

ولا

به

جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام • وأنه وصل إلى سدرة المنتهى
وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره • قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها
النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام • وعن الحسن فيه بينا أنا
نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر
شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فأخذ
بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق
وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ
لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت
المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون
وهذا بين في أنه بجسمه • وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه
أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى • وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في
مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلث •
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على
ظاهرها • وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي

وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة
ثم أخذ بيدي فعرج بي • وعن أنس أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح
عن صدري • وعن أبي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني
عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط •
فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر • وقد روى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديث الإسراء عنه عليه السلام أنه قال ثم رجعت
إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في إبطال حجج من قال إنها
نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك فسماها رؤيا وقلنا
قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله
فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء شخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا
يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في
ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس
الناس من ذلك وقيل غير هذا • وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث
مناما • وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان • وقوله أيضا وهو
نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول
الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في
الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت
وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ

قصه

من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله
وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان
غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملا الاعلا وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو في المسجد الحرام ● ووجه ثالث ان يكون
نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده
وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ● وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله
شي من المحسوسات عن الله ولا يصح هنا ان يكون في وقت صلاته
بالانبيا ولعله كانت له في هذا الاسرا حالات ● ووجه رابع هو ان
يعبر بالنوم هاهنا عن هية النايم من الاضطجاع ويقويه قوله في
رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع ● وفي
رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ● وقوله
في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون سمى هيته بالنوم
لما كانت هية النايم غالبا ● وذهب بعضهم الى هذه الزيادات من
النوم ● وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما
هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن
في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة
ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد المبعث

فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق
انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن
صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث ● واما قول عايشة
ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة
بنت نحو ثمانية اعوام ● وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل
الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا
فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم
يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه من ما وقع نصا في
حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث
الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه
وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها
انه بجسده لانكارها ان تكون روياه لربه رويا عين ● ولو كانت عندها
مناما لم تنكره ● فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفواد ما راى
فقد جعل ما راه للقلب ● وهذا يدل على انه رويا نوم ووحي لا

مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
أضاف الأمر إلى البصر وقد قال أهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد
ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل
ما أنكره قلبه ما رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه
جل وعز فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة حدثنا أبو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي
حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي
حدثنا محمد بن آدم حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق
أنه قال لعائشة يا أم المومنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري
من ما قلت ثلث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى
ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي
هريرة أنه قال إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع
رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وعن ابن
عباس أنه رآه بعينه وروي عطا عنه أنه رآه بقلبه وعن أبي
العالية عنه رآه بفواده مرتين وذكر ابن اسحق أن ابن عمر أرسل
إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه
أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن الله

محمود

اختص

اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله
ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى
قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد
فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو
الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال
اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن
محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله
قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد
بقلبه وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى
الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي
وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سيل هل رأيت ربك قال
رأيته بفوادي ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم
يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى
ابن اسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر

قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار
وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل
الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس
وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى
عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله ألم
نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال أبو الحسن علي بن اسمعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من
أصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من
الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص
من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس
عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز
عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن
تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا من ما هو أقوى من بنية
موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في
الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على

استحالتها

استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة
ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وانما
يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا
استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما
قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا
انما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل
وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر
الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا
وانه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم
وكونها متغيرة غرضا للآفات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان
في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس
رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان

في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ
إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله
أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين
ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقًا وأن الجبل
رأى ربه فصار دكًا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم
من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا وتجليه للجبل هو
ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقًا بلا إفاقة وقوله هذا
يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه
وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه
وسلم له إذ جعله دليلًا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات
نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه
بعينه فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم
والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر

عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث
معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي
ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى
بعض شيوخنا أنه روي نورانيٌّ أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال
رأيت نورًا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن
كان الصحيح رأيت نورًا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورًا
منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي
كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي
مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر
في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في
الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي
يرده والله تعالى الموفق فصل وأما ما ورد في هذه القصة من
مناجاته لله وكلامه معه بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما
تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل
وجبريل إلى محمد إلا شذوذًا منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا
ذهب بعض المتكلمين أن محمدًا كلم ربه في الإسراء وحكي عن

وذكروه

الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون
وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسرا عنه عليه السلام
في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول لي ليهدا روعك يا محمد ادن
ادن وفي حديث أنس في الإسرا نحو منه وقد احتجوا في هذا
بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو
يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلثة أقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر
أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من
تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي
هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة
وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسرا ما هو أوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال
الملك الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجي الكلام في
مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك
خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص

فقال

ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل
في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
وجعل بعضهم فوق بعض درجات فضل وأما ما ورد في حديث الإسرا
وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين
أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل
عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى
دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا محمد صلى الله عليه
وسلم فتدلى إليه أمره وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده
محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه
من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى
الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت
كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى
فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلوة وذكر حديث الإسرا

وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين
قال وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان
فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن ما وقع من إضافة
الدنو والقرب هنا من الله أو الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما
دنو النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله
تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما تأول
في قوله ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال
وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل
ثم مسافة بل كما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن
درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو
أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان
عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة
الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من

أو دنا الأقرب منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد

الله له ويتأول فيه ما تأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان
بالإحسان وتعجيل المأمول فصل في ذكر تفضيله في القيمة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو
الحسين قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام
بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا
وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن أنس في لفظ هذا
الحديث أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا
خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا
لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف
على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة
من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول
من تنشق عنه الأرض ولا فخر وعن أبي هريرة عنه صلى الله

عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع • وعن ابن عباس أنا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر • وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر • وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها معي فقرا المؤمنين ولا فخر • وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر • وعن أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا • وعن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين • وذكر حديث الشفاعة • وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال أطمع أن أكون أعظم الانبيا أجرا يوم القيمة • وفي حديث آخر أما ترضون أن يكون إبرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة • ثم قال إنهما في أمتي يوم القيمة • أما إبرهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك • وأما عيسى فالأنبيا إخوة بنو علات أمهاتهم شتى • وأن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به • قوله أنا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره إذ لجا الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه • والسيد هو الذي يلجا الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • والملك له تعالى في الدنيا والآخرة • لكن في الآخرة انقطعت دعوى

المدعين

المدعين لذلك في الدنيا والآخرة وكذلك لجا إلى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى • وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك • وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما أبدا • وعن أبي ذر نحوه • وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة • وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق • وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا • وقال أنس أيلة وصنعا • وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود • وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة ابن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل ابن سعد وسويد بن جبلة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبرا وجندب وعايشة وأسما ابنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم • فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة • واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة

المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره
عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد
الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا
ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر
عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر
وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم
من خلقه خليلا وموسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج فسلم عليهم
وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو
كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك
وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا

وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما

فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة
انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى
الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته اياه اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة
الاستصفاء وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه
وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه
قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه
جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال الك حاجة قال اما
اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب
الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في
كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة
مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما

له

بتخلل

بانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن سواه حتى لم يكن لهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لكن أخوة الإسلام واختلف العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء ولا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكن خص إبرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي وقد أطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها عليهم السلام واسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل ابرهيم وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي أن يفهم من هنا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله وصفا القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى ولسخطه يسخط ومن هنا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ۝ وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ۝ وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشاراته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله

الي حبيبه

فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في
حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي
بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب
قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على
مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال وكل
يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فصل في
تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تبارك وتعالى عسى أن
يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني
فيما كتب إلي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو
محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا إسمعيل بن ابان حدثنا
أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس
يصيرون يوم القيمة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع
لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

يوم الدين في الاصل

وقرأنا أخرى في الاصل

فذلك

فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن أبي هريرة سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيمة وأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضرا ثم يؤذن لي فأقول ما شا الله أن أقول فذلك المقام
المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود عنه عليه السلام أنه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود
قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن أبي
موسى عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من
بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم
قبلهم فسألت الله أن يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال

حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه
فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك
والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجا ولا منجا
منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام
المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس إذا دخل أهل النار النار والجنة
الجنة فيبقي آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل
الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى
يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه
وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد المحمود
الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي
وعده وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الأولين والآخرين
يوم القيمة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى
ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة

وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم
أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك
جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا
فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا
ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي
نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه
بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى ابرهيم فإنه خليل الله فيأتون إبرهيم
فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا
ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله
ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب
وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله

وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم محمد عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق
فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا • وفي رواية
فآتي تحت العرش فأخر ساجدا • وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده
بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله • وفي رواية فيفتح الله علي من
محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية أبي
هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي
فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه
من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من
الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل • وقال مكانه ثم أخر
ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع واسأل
تعطه فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي
فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول • وقال فيه مثقال حبة من خردل
قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم • وقال فيه من كان في قلبه أدنى
أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل • وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فأقول يا رب
ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله

ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول
يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود •
وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون
محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط • وذكر
في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط
فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر
آخرهم جوازا الحديث • وفي رواية أبي هريرة فأكون أول من يجيز
وعن ابن عباس عنه عليه السلام يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها
ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا • فيقول الله
تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى
بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل
الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم
إلى النار حتى أن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في أمتك من نقمة • ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر •
وأنا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر • ومعي لواء الحمد يوم القيمة • وأنا
أول من تفتح له الجنة ولا فخر • فآتي فآخذ حلقة الجنة فيقال من هذا
فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا •

وذكر نحو ما تقدم ۔ ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيمه لأكثر مما في الأرض
من حجر وشجر ۔ فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الأثار أن
شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى
أخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم
العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف ۔ ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما
جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع
في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في
الحديث ۔ ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب
ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس
هذا لسواه صلى الله عليه وسلم ۔ وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل
نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمه ۔ قال
أهل العلم معناه دعوة أعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا
فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابه ولنبينا صلى الله عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت
لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابه ۔ وقد
قال محمد بن زياد وأبو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث ۔ لكل
نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا اريد ان اوخر دعوتي

شفاعة لأمتي يوم القيمة ۔ وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة
مستجابه فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعه عن أبي
هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامه مضمونة الاجابة ۔ والا فقد
أخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لأمته أشيا من أمور الدين والدنيا
اعطي بعضها ومنع بعضها ۔ وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن ۔ وعظيم السول والرغبه ۔ جزاه الله أحسن ما جزي نبيا عن
أمته وصلى الله عليه وسلم كثيرا فصل في تفضيله في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعه ۔ والكوثر والفضيلة ۔ حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن
احمد بقراتي عليه قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا
ابن عبد المومن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد
بن سلمه حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو
بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ۔ ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي
إلا لعبد من عباد الله وأرجو ان اكون أنا هو فمن سأل الله لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعه ۔ وفي حديث أخر عن أبي هريرة

ثنا

الوسيلة أعلى درجة في الجنة ۞ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده إلى طينه فاستخرج مسكا ۞ وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من
الثلج ۞ وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه
أمتي ۞ وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس ۞ وعن ابن عباس
أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه ۞ وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه ۞ وعن حذيفة فيما ذكر
عليه السلام عن ربه وأعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن ۞ وفي رواية أخرى وفيه
ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل فإن قلت إذا تقرر من دليل
القرآن وصحيح الأثر ۞ وإجماع الأمة كونه أكرم البشر ۞ وأفضل
الأنبياء فما معنى الأحاديث بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه
الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ۞ وفي غير هذا
الطريق عن أبي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث ۞ وفي
حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على
البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الأنبياء ۞ وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا أقول أن أحدا أفضل من يونس بن متى ۞ وعن
أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ۞ وعن ابن
مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى ۞ وفي حديثه
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم فاعلم أن
للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات أحدها أن نهيه عن التفضيل كان
قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف
وأن من فضل بلا علم فقد كذب ۞ وكذلك قوله لا أقول أن أحدا
أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل ۞
الوجه الثاني أنه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي
التكبر والعجب ۞ وهذا لا يسلم من الاعتراض ۞ الوجه الثالث ألا
تفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه
لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا
يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته

الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه
فربما تخيل لمن لا علم عنده خطيطته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على حد واحد اذ
هي شي واحد لا تفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها وكذلك منهم رسل ومنهم
اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي
الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك
بثلثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته
ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى
ما خصه الله به من كراماته واختصاصه من كلام او خلة او روية
او ما شا الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ
منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من تسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفايه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه

وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان
يكون انا راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من
الزكا والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى
الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه
عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا
بيانا ان شا الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمايه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو
عمران موسى بن ابي تليد الفقيه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى بن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا
محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في
كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماه ثناه
وطوى اثنا ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من
صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه
وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد
المحمودين واحمد الحامدين ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له
كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه

خطبه

اخر الجزء الثاني من ثلاثين

رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ
بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ المَحَامِدِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَمْ يُعْطَ
غَيْرَهُ وَسُمِّيَ أُمَّتُهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالحَمَّادِينَ فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى
مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ وَبَدَائِعِ
آيَاتِهِ فَنٌّ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ
أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ فَمَنَعَ اللهُ تَعَالَى
بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ حَتَّى لَا
يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ القَلْبِ أَوْ شَكٌّ وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ
بِهِ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَمِيلَادِهِ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ العَرَبِ
أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ
وَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الجُلَاحِ الأَوْسِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيُّ
وَمُحَمَّدُ بْنُ بَرَاءٍ البَكْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ
حُمْرَانَ الجُعْفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ السُّلَمِيُّ لَا سَابِعَ لَهُمْ وَيُقَالُ أَنَّ
أَوَّلَ مَنْ سُمِّيَ مُحَمَّدٌ بْنُ سُفْيَانَ وَاليَمَنُ تَقُولُ بَلْ مُحَمَّدُ بْنُ اليُحْمُدِ مِنَ
الأَزْدِ ثُمَّ حَمَى اللهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِهِ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيَهَا أَحَدٌ
لَهُ أَوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَبٌ يُشَكِّكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ حَتَّى تَحَقَّقَتِ
السِّمَتَانِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُنَازَعْ فِيهِمَا وَأَمَّا قَوْلُهُ وَأَنَا
المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ فَفُسِّرَ فِي الحَدِيثِ وَيَكُونُ

هوم ومع

مَحْوُ الكُفْرِ إِمَّا مِنْ مَكَّةَ وَبِلَادِ العَرَبِ وَمَا زُوِيَ لَهُ مِنَ الأَرْضِ
وَوُعِدَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ أَوْ يَكُونُ المَحْوُ عَامًّا بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالغَلَبَةِ
كَمَا قَالَ تَعَالَى لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الحَدِيثِ
أَنَّهُ الَّذِي مُحِيَتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنِ اتَّبَعَهُ وَقَوْلُهُ وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ
النَّاسُ عَلَى قَدَمِي أَيْ عَلَى زَمَانِي وَعَهْدِي أَيْ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ كَمَا قَالَ
تَعَالَى وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسُمِّيَ عَاقِبًا لِأَنَّهُ عَقَبَ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَقِيلَ
مَعْنَى عَلَى قَدَمِي أَيْ يُحْشَرُ النَّاسُ بِمُشَاهَدَتِي كَمَا قَالَ تَعَالَى لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَعْنَى قَوْلِهِ لِي خَمْسَةُ
أَسْمَاءٍ قِيلَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ وَعِنْدَ أُولِي العِلْمِ مِنَ
الأُمَمِ السَّالِفَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِي عَشَرَةُ
أَسْمَاءٍ وَذَكَرَ مِنْهَا طَهَ وَيس حَكَاهُ مَكِّيٌّ وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ
تَفَاسِيرِ طَهَ أَنَّهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي وَفِي يس يَا سَيِّدُ حَكَاهُ السُّلَمِيُّ عَنِ
الوَاسِطِيِّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَذَكَرَ غَيْرُهُ لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ فَذَكَرَ
الخَمْسَةَ الَّتِي فِي الحَدِيثِ الأَوَّلِ قَالَ وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ
الرَّاحَةِ وَرَسُولُ المَلَاحِمِ وَأَنَا المُقَفِّي قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ وَأَنَا قَيِّمٌ وَالقَيِّمُ
الجَامِعُ الكَامِلُ كَذَا وَجَدْتُهُ وَلَمْ أَرْوِهِ وَأَرَى أَنَّ صَوَابَهُ قُثَمُ بِالثَّاءِ
كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَعْدُ عَنِ الحَرْبِيِّ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالتَّفْسِيرِ وَقَدْ وَقَعَ أَيْضًا
فِي كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا
مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الفَتْرَةِ فَقَدْ يَكُونُ القَيِّمُ بِمَعْنَاهُ وَرَوَى النَّقَّاشُ

من الامام من عمر الروايه

عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث أبي موسى الأشعري
انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد
والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة
وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وأما نبي
الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد
قال في صفة أمته انها أمة مرحومة وقد قال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه
السلام ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم
ومترحما ومستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة
وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من
في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه عليه السلام انه قال أتاني ملك فقال لي أنت
قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته

صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته
في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير
والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والأمين وقدم الصدق
ورحمة العالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
وطه ويس والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله
في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله
المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله واطلاق الأمة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين
وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن أسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال
ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه

والتقي

في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم
والخاتم حكاه كعب الأحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء
والخاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه أيضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد تحمل على أنه القضيب
الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء وأما
الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا
المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن
وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم
تيجان العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه
منها مقنع إن شاء الله تعالى. فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه
به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا قال القاضي أبو
الفضل وفقه الله ما أحري هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن الله لم يشرح
الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أثار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه
إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع
به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء بكرامة خلعها
عليهم من أسمائه كتسميته إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم

بحليم

بحليم

حليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي
ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما
نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا
نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة
أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار
الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لنا
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى
كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا
الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه
حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال
الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر
من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في
كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق
المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين
أي البين أمره وإلاهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين
لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين ، وقال وقل
إني أنا النذير المبين ، وقال قد جاءكم الحق من ربكم ، وقال فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وأمره ، وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره
ورسالته والمبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل
إليهم ، ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور
السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه
نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل
القرآن ، وقال فيه وسراجا منيرا ، سمي بذلك لوضوح أمره وبيان
نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ، ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه شهيدا وشاهدا ، فقال إنا أرسلناك شاهدا ، وقال ويكون
الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول ، ومن أسمائه تعالى
الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو
وقيل العلي ، وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه
تعالى كريما بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه
عليه السلام ، ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن
الذي كل شيء دونه ، وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك

لعلى خلق عظيم ، ووقع في أول سفر من التوراة عن إسمعيل
وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ، ومن أسمائه
تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن
وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار
فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك ، ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر
وعظم خطره ، ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي
لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ، ومن أسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر ،
وقال تعالى الرحمن فسل به خبيرا ، قال القاضي بكر بن العلاء المأمور
بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي
خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم
بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن
له في إعلامهم به ، ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين
عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم
أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر
كقوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم

النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من
رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى
الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح
لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله او الناصر للحق او المبتدي بهداية الامة او المبدا المقدم في
الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبيا في الخلق
واخرهم في البعث ومن اسمايه تعالى في الحديث الشكور ومعناه
المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف
بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا
شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا
نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لين شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه
تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى
الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول

والاخر

والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل وجودها والباقي بعد
فنايها وتحقيقه انه ليس له اول واخر وقال عليه السلام كنت
اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا
صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ومنه نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من
تنشق الارض عنه واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه
تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله
بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل
جبريل ومن اسمايه تعالى الصادق في الحديث الماثور وورد
في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن
اسمايه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى انما
وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مومن وقال
الله تعالى النبي اولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه
فعلي مولاه ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف
الله بهذا نبيه في القران والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو
وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ
العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في

قوله

اسمه

الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو
ويصفح ● ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد
من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا إلى
دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ● وأصل الجميع من
الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه طاهر يا هادي يعني
النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وإنك لتهدي إلى صراط
مستقيم ● وقال فيه وداعيا إلى الله بإذنه فالله تعالى مختص بالمعنى
الأول قال تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ● ومن أسمائه تعالى
المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا
من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الأمن
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين
انه اسم من أسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن ● وقيل المهيمن بمعنى
الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم أمين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع ثم أمين وكان عليه السلام
يعرف بالأمين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس
مهيمنا في شعره في قوله ●

ثم اهتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق ●
قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتيبي والإمام أبو القسم القشيري
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق ● وقال أنا أمنة
لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن ● ومن أسمائه تعالى القدوس ومعناه
المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس ● ووقع في كتب
الأنبياء في أسمائه عليه السلام المقدس أي المطهر من الذنوب
كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أي الذي يتطهر
به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم
من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهرا من
الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية ● ومن أسمائه تعالى العزيز
ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره ● وقال
تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع وجلالة القدر ● وقد وصف
الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان ● وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته
ونذيرا لأهل معصيته ● ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين
طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي وفقه الله وها هنا أذكر

القتيبي

ابو الفضل

نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي
التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن تعتقد أن الله جل
اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته
لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع
علي الخالق وعلي المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك
عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته
وأسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من قال من
العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا
وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل
ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت
الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات
المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القسم القشيري رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها

وليس

مستغنية

مستغنية وكيف تشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع
نقص حصل ولا بخواطر وأعراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر
وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما
توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال
الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره
فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع
بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن
قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في
الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا
علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب
نفيس محقق والفصل الأخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء
والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث
تفسير لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله
وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته الباب الرابع فيما
أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب
المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن
في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها

حتى لا يتوصل الطاعن إليها. وبذكر شروط المعجز والتحدي
وحده. وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده. بل ألفناه لأهل ملته
الملبين لدعوته. المصدقين لنبوته. ليكون تأكيدًا في محبتهم له.
ومنماة لأعمالهم. وليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم. ونيتنا أن نثبت في هذا
الباب أمهات معجزاته. ومشاهير آياته لتدل على عظم قدره عند
ربه. وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد. وأكثره مما بلغ القطع
أو كاد. وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة. وإذا
تأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه
ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله. لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد
كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به. فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه
عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن
الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد
بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة
الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث. وعن

أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته
فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم. وروى مسلم وغيره
أن ضمادًا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله
قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك
أبايعك. وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا
هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقًا من تمر فأخذ بخطامه وسار
إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت
أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فأصبحنا فجاء رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا.
وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي
الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا
كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود وأشهد أنه نبي. وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله

عليه وسلم يقول بكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه ايات مبينة ٭ لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزات القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في كتب ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عن ما بعثه الله به ومنبيا

بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانبا وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقنا ثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وإن امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجما الغفير ان

كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي ذر عنه أن الأنبيا
مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم
ثلثمائة وثلثة عشر أولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع
فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع
الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة
حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه
قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا أي السرعة وقيل أصل الوحي السر
والإخفا ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله وإن الشياطين
ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله
وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة فصل اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبيا معجزة
هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب
هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على
صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان

بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرهم
فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحيا الموتى وقلب العصا حية وإخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الما من بين الأصابع وانشقا
القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد
النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له
واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم
ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر
الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي
في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا تحصى
عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه
وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها وقال أهل العلم وأقصر
السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجي النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا
معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد في الدنيا وإنما جا اعتراض
الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه معجز معلوم
ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال

بعض ايمتنا وتحرير هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه
السلام آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معيّنا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في
كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه
وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على
كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب
العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر
به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع
وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه
العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله
اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي
أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق أن كثيرا من هذه الآيات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع أما انشقاق القمر
فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر
إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة ولا

مثله

فلا

يوهن

يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه
وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن
حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في مواطن
الاجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العسا
ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما
ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب
وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشيا
رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من
معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها
وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من
الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارية وأعلام نبينا هذه

كر

سكونه

الزمان

الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا مع تناول القرون وكثرة الطعن العدو وخوضه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي أوجب قول القائل أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن تحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد الناس لا يعلمون إسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقها من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة أم القرآن في الصلوة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عن ما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما

في هذه المسائل وغيرهم ممن لا يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل في إعجاز القرآن اعلم وفقنا الله وإياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جملة ضبط أنواعها في أربعة أوجه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة

والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من
أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في
الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل
مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم
أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر
في السجع والشعر ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في
كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملا
أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وذلك أن المفتري أسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب
ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول
على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه
وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط
أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم
وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون
عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء
بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك
افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا
غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا
ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف
على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم
بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر. وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكي أن عمر بن الخطاب كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية. وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين. وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة

للعالم

للعالمين ج للعالم

للعالم بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته. وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب. وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية. وقوله فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفس من ترديدها ولا معاداة لمعادها. فصل الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب

تحقق

التأليف

ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر. ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه وقال والله ما منكم أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل. وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات. وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله

قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. وقال النضر بن الحرث نحوه. وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وأنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون. والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها. وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب. وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه. وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوله جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع

تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من
باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب
العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما
يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه
وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت
وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم
بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج
بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع
دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء
والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الأنف وإباية الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها
أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم
من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام
وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء
ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبية من بنات سفاههم
ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا

فهذان نوعان من إعجازه فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما
انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد
كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
إن شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله إذا جاء نصر الله والفتح إلى
آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين
ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف الله المؤمنين في
الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى
أقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله إنا
نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد
من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما
القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة
عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم الآية وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية وقوله

لن يضروكم الا أذى وإن يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول وقوله تخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله
ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله وطعنا
في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يومئذ
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات
الشوكة تكون لكم ومنه قوله إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت
بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم
وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا
وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة فصل
الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ
من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده
النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه
صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا
مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل

الآية وقوله ومن الذين هادوا [illegible]

الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه
من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي
القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما
في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه
فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك
فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم
له عليه السلام وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار
علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم
ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم
عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم
ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير
ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما
أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة
نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده إياه كأهل

وحسدهم

نجران وابن صوريا وأبي احطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفه
دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي إلى
إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي
على فضيحته من كتابه بيده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف
قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الأربعة
من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في
إعجازه من غير هذه الوجوه أي وردت بتعجيز قوم في قضايا
وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال
أبو اسحق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة
الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم
يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه
إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا

ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب إليه
وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام أنزل
الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا
منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد
علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم
ومثله قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا
ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان فهذه الآية أدخل
في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي
قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة
خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال عليه السلام إن هذا القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته
إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه
به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

وقلوبهم إلى ذكر الله. وقال: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية
ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا
يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي
فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم. وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من
كفر. فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم
خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المصيطرون كاد قلبي
أن يطير للإسلام. وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء
به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم
وناشده الرحم أن يكف. وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ وعتبة مصغ ملق بيديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما
يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط
فما دريت ما أقول له. وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك. فحكي أن ابن المقفع

طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي
ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من
كلام البشر. فكان من أفصح أهل وقته. وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في
سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها. قال
فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة. فصل ومن وجوه
إعجازه المعدودة كونه آية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله
بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. وقال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية. وسائر معجزات الأنبياء
انقضت بانقضاء أوقاتها ولم يبق إلا خبرها. والقرآن العزيز
الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة
عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة. والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم
اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء
يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على
مطعن صحيح. ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه.
فصل وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه

وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب
على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع
الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى
أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه
لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل
ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي
إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا
محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها
ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا تشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد
على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة
المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها
كقوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار

النار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل
هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر
ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا
تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن
تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين
والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن
تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام إني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم
وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم
العقول ونور الحكمة وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على
بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس
وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف

ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مراتب ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن
وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معًا من كلام
واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم
يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس
وأوعى للقلوب وأسمح في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه
أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور
السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضًا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام
أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب
إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر
ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد
وتقرير وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل
تخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول
ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم

بإهلاك

بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم
من ما أتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من
الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا
في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في
إعجاز القرآن إلى وجوه ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في
باب بلاغته فلا يجب أن تعد فنًا منفردًا في إعجازه إلا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم
يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه
الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل في انشقاق القمر
وحبس الشمس** قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه
بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل
السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا
القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا

الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبه
وسفين عن الأعمش عن إبرهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود
الأسود وقال حتى رأيت الجبل بينهما بين فرجتي القمر ورواه
عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن
ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ
من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسلوا من يأتيكم من بلد آخر
هل رأوا مثل هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر
فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ننظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل
الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر
ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن
عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من
رواه أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه

اربعه

وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا
حرا بينهما رواه عن أنس قتاده وفي رواية معمر وغيره عن
قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه
جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبه
ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاد
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو
كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ
لم ينقل لنا عن أهل الأرض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت
علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع الأرض فقد يطلع
على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو
من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب
أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من
الناس الهدو والسكون وإجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك

مايكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به
حتى تخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار
ونجوم طوالع عظام يظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند
احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس
من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه
في حجر علي فلم يصل حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت
اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال
والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذين الحديثان ثابتان
ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول
لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من
علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان
ذلك اليوم واشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه
الشمس فصل في نبع الما من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى
الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث

القصة صحيحة

الصحابه

نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه منهم
انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا
مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس
الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضو فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الانا يده وامر الناس ان
يتوضوا منه قال فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى
توضوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه
ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زها ثلثمايه وفي
رواية عنه وهم بالزورا عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن
عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمه بينما نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس معنا ما فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ما فاتي بما فصبه في انا ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع
من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم
بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى

الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ورُوي
مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر نادِ بالوضوء وذكر
الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتى به النبي صلى
الله عليه وسلم فغمره وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال نادِ بجفنة
الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه
وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة
واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي أن النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره أُتي بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع أصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران
بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة

لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم
ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه
فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطأ
عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض
بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في
شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك
حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع
وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة
فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير
هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى
ضربوا بعطن وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في
ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا
وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا ۞ وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي
قتادة على ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
بهم ممدا لأهل مؤته عند ما بلغه قتل الأمراء ۞ وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم
يفقدون الماء في غد ۞ وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة
وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة أحفظ علي ميضاتك فإنه سيكون لها
نبأ وذكر نحوه ۞ ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه
رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا وكذا معها
بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد
الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم
يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران بن حصين وتخيل إلي أنهما لم يزدادا
إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها ۞ وقال
اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله
وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء

الأزوده

فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه
دغفقة أربع عشرة مائة ۞ وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما
أصابهم من العطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم
يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم
تجاوز العسكر ۞ وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل
النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب
والحديث في هذا الباب كثير ۞ ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه
فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا
الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما
زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله وأتى النبي صلى الله
عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ۞ ومن حديث
أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا
من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت
وقال فيها ما شاء الله أن يقول ۞ وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه

وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر
فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن
عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي
أيوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام
زها ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من
أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج
منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع
من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وأيم الله ما من
الثلثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فأكلنا منها أجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري
عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب
فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في

بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع
قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في
الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني النبي صلى الله
عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن
فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب
وقال أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن
يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه
وغمس ثلث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور
نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين وأمر عمر بن
الخطاب أن يزود أربع مائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما
هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية
جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع

مابه راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته
وكان قد بذل لغرماء أبيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين
كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
سادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان
الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة أصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من
التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا
بالبركة ثم قال أدع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك
حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه
وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى
أن قتل عثمن فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا حديث
أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال
فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن اصيب منه شربة أتقوى
بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم

فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي
جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا
وأنت أقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد
الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه
أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة
فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم أكل من
هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك
لعياله فأكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الأجري
في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة
رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها
وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي
حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم
سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم
ادع احدا لقيته إلا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا
الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة

فاكلوا

القينه

عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما
أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث
هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين
ثم من لا تعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة
لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا تسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن
أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القسم البغوي
حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال
إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك
على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت
تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت أنه
كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي
صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى

الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين
يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى
منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي
أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد
لزوجها قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في
حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ
الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ
بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه
كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل
ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا
وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت
فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر
وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا

الحادي عشر من ثلثين

منا

يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل
ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل
لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل
لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر ودتين
فانضمتا وفي رواية اشاتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في
شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في
غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشيا
راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جات فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله
بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من

يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو
الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم
من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي
وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى
جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة
معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى
مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني
اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى
الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن
اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في
شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم

فقال

تخوفونه فسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى إليه ان ائت
وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجا يخط الأرض
خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شا الله ثم قال ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه عن عمر وقال فيه
أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
صحيح فصل في قصة حنين الجذع وتعضد هذه الأخبار حديث
أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه
أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب
وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب
بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث أنس صحيح وقال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم
إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل
وكثر بكا الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع

وانشق

وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما
فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم
يزل هكذا إلى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس وفي حديث أبي كان إذا
صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي
فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر الاسفرا
أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض
فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني
النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت
فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى
له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على
دار الفنا فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة
تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم
أحق أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله

ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد
بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن
وثابت وإسحق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية
ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار
عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد
وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل
بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث
كما تراه أخرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره ومن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
المرابط حدثنا المهلب أبو القسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا
المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى
حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسرايل عن منصور عن إبرهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر
فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن
في كف عمر وعثمن وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال
له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام
إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن
عايشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر
إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث
العباس إذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن
أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمن أحدا فرجف بهم فقال اثبت
أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في
حرا وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال إنما عليك نبي أو صديق أو
شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه
أنا فيهم وزاد عبد الرحمن بن عوف وسعدا قال ونسيت الاثنين

استقبلته

وفي حديث سعيد بن زيد أيضاً مثله وذكر عشرة وزاد نفسه
وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حرا إلي يا
رسول الله وروي ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على
المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار
أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمايه صنم مثبتة الأرجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء
الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا
لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن
مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدي الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج
تاجراً مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل
يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما
علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً له ولا يسجد إلا لنبي
وذكر القصة ثم قال وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة

فلما

فلما جلس مال الفيء إليه صلى الله عليه وسلم فصل في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا
أبي حدثنا القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت
بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلا أحمد بن
عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا
مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب وإذا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد
صاد ضباً فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت
بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك
فأسلم الأعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي
سعيد الخدري بينا راع يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها فأخذها
الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين

حتى

عذابه

أعلمك

صلى الله عليه وسلم

رزقني قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الإنس
فقال الذيب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين
يحدث الناس بأنباء من قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول ● وروى حديث الذيب
عن أبي هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة قال الذيب
أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه
ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود
الله قال الراعي ومن لي بغنمي قال الذيب أنا أرعاها حتى ترجع
فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى ● وذكر قصته وإسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة
منها ● وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها
ومكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب
هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد ● وقد
روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفين بن حرب وصفوان
بن أمية مع ذيب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب أعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو
سفين واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روي مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه ● وعن
عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر
الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال
يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان ذلك
سبب إسلامه ● وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت إلى أهلها ● وعن أنس دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار
وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر وعمر نحن أحق بالسجود
لك منها الحديث ● وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه
وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن
جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين

يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء لا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي
خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن
شأنه فأخبروه انهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي
رواية انه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها
النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد
وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني
وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتحها فدعا لهم بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن
عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيهن يبدأ

رضي الله عنهم اجمعين

وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان
في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين
قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي
وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم
وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
أخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد
فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه
حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه السلام بإذن شاة لقوم من
عبد القيس بين أصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه إلى دور
أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات

ب

وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه ◦ وفي العنز التي اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على
غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها ◦ وقال لفرسه
عليه السلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك
الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى
صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب كثير ◦ وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل في
احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له
بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا
حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن
بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد ابن الاعرابي حدثنا ابو داود
حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله

نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم تكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم

عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني
انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما
صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت
ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت ◦ وقد روي هذا الحديث
انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على
ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من
رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله
وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها ◦ وكذلك ذكر
الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها ◦ وفي الحديث الآخر
عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فالآن اوان قطعت ابهري ◦ وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون
ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه
الله به من النبوة ◦ وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته ◦ وقد ذكرنا اختلاف
الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر ◦ وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده

وقال كلوا باسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا قال
القاضي أبو الفضل وقد خرّج حديث الشاة المسمومة أهل
الصحيح وخرّجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة
أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات يحدثها
الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله
وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي
هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكلّ محتمل والله أعلم إذ لم
نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام
النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من
حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم
ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة
وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا
لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بتسبيحه أو حنينه
ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدلّ على

سقوط

سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه
وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال
رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو
حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونه اسم راويه
وقال فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله
فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى
مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن
الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له
في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
أجيبي بإذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس أن
شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت
إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن

ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين
أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر
الشهيد وعثمن البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت ● وذكر عن النعمان
بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشايين والنسا يصرخن حوله يقول أنصتوا
أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق صدق
صدق ● وذكر أبا بكر وعمر وعثمن ثم قال السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابرا المرضى
وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسين علي بن مشرف فيما أجازنيه
وقرأته علي غيره قال حدثنا أبو اسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن
النحاس حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي
عن محمد بن اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة
وجماعة ذكرهم بقضية أحد بطولها قال وقالوا قال سعد بن أبي
وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل
له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن
النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت أحسن عينيه ● وروى قصة قتادة عاصم بن

عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ● ورواها أبو
سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح ● وروى النسائي عن
عثمن بن حنيف ان أعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني
أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
يا محمد اني اتوجه بك إلى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره ● وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقا فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيده حثوة من الأرض فتفل فيها ثم أعطاها رسوله فأخذها
متعجبا يرى ان قد هزي به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه
الله ● وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان أباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو
ابن ثمانين سنة ● ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا ● وتفل على شجة
عبد الله بن أنيس فلم تمد ● وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا
فأصبح باريا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبري
وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين

قتل ابن الاشرف فبريت وعلي ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبري مكانه وما نزل عن فرسه وأشتكي
علي بن ابي طالب فجعل يدعو افقال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم
أشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما أشتكي ذلك الوجع بعد وقطع
أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجا يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلي الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم بضربة علي عاتقه حتي مال شقه فرده رسول
الله صلي الله عليه وسلم ونفث عليه حتي صح وأتته امراة من
خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتي بما فمضمض فاه وغسل
يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها
به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفي وانكفأت القدر علي ذراع محمد بن حاطب وهو
طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبري لحينه وكانت في
كف شرحبيل الجعفي سلعة منعته القبض علي السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبي صلي الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتي رفعها
ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه
وكانت قليلة الحيا فقالت اني أريد من الذي في فيك فناولها ما في

فيه ولم يكن يسيل شيا فيمنعه فلما أستقر في جوفها ألقي عليها من
الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة أشد حيا منها فصل في إجابة
دعائه صلي الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي
صلي الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر علي الجملة
معلوم ضرورة وقد جا في حديث حذيفة كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده
حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن
محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن
أبي الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس
قال قالت امي يا رسول الله خادمك أنس أدع الله له قال اللهم أكثر
ماله وولده وبارك له فيما أعطيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم علي
نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخا العيش ما أصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد
ولد ومثله دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتي مجلت فيه الأيدي
وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل

عليه السلام

أعلمه

بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين
الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشيه في حياته
وعوارفه العظيمه اعتق يوم تلثين عبدا وتصدق مرة بعير
فيها سبع مايه بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق
بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعويه بالتمكين في
البلاد فنال الخلافه ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته
فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي
جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ
اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعا
فدعا فجات سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقا
فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغه لا يفضض
الله فاك فما سقطت له سن وفي روايه وكان احسن الناس
ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومايه
وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله
بن جعفر بالبركه في صفقه يمينه فما اشترى شيا الا ربح فيه
ودعا للمقداد بالبركه فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة بن ابي الجعد قال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع
حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى

وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنه وكان ابن خمس عشرة

الى هاهنا لام يخطه من غير الروايه

التراب

التراب ربح فيه وروي مثل هذا لعروة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه
بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي
ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتا ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمه ابنته الله ان لا يجيعها قالت فما
جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو ايه لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور
بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثله فتحول الى طرف سوطه فكان
يضي في الليلة المظلمه فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
يبق له باقيه ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه
الصلوه ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك
فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه المشهور من روايه
عبد الله بن مسعود في دعايه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم فقال لقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي
العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه
فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامه فمات
لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا
عليه الحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد
فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه

وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا يبارك له فيها فاصبحت شاصيه
برجلها اي رافعه وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته
وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لبسه او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا
احمد بن محمد نا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضي نا ابو ذر نا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا نا العوري نا البخاري نا يزيد بن زريع
نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينه فزعوا مرة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحه كان يقطف او به قطاف وقال
غيره بطيا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل
جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس
لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من
بطنها باثني عشر وركب حمارا قطوفا لسعد بن عباده فرده هملاجا لا يساير
وكانت شعرات من شعره في قلنسوة فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي
الصحيح عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعه من قصاع النبي
صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمن ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته فيها الاكله
فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوءه في بير قبا فما نزفت بعد

وبزق في بير كانت في دار انس فلم يكن بالمدينه اعذب منها ومر على ما فسال عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي
بدلو من ما زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه
وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه
وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي
مملوة سمنا فياتيها بنوها فيسلونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها
سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان بن
حين كاتبه مواليه على ثلثمايه ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين
اوقيه ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره
فاخذت كلها الا تلك الواحده فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت
وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحده فقلعها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجه
من ذهب بعد ان اداراها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقيه
وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربه من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظميت واعطى
قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمه مطيره عرجونا
وقال انطلق به فانه سيضي لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا

وبرق

فاذا دخلت بيتك فسترى سوادًا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضا له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه لعكاشه جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارمًا طويل القامه ابيض اللون
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن
جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام
معبد واعنز معويه بن ثور وشاة انس وغنم حليمه مرضعته وشارفها
وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن
ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعى فيه
فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في
فمه من روايه حماد بن سلمه ومسح على راس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص
عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبه بن فرقد طيب يغلب طيب نسايه لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت
الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان خرج يوم حنين ودعا له فكانت
له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا

له فهلك ابن مايه وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله
عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى
الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن
ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما
ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه
فكان حنظله يوتى بالرجل وقد ورم وجهه والشاة قد ورم
ضرعها فيوضع موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما كان
يعرف في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي
به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبروا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها
بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يوت النبي صلى
الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس
والمس الجنون ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح
المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن
اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيا بعد وما يروى

عنه في هذا كثير. فصل ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب
وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره
ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيب. حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن
الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي
التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود
حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل
عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما
ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه
ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي
أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد
سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته. وقال أبو ذر لقد تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا
ذكر لنا منه علما. وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه
صلى الله عليه وسلم من ما أوعدهم به من الظهور على أعدائهم

وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن
حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله. وأن
المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه. وما يفتح الله
على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة
الناجية منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم
في حلة ويروح في أخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم
خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى
لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده
وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل
فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن
والهرج. وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له
الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له
منها وكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين
أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه

روح كل مومن ومومنه واطلق بقاهم الى اشراط الساعه وقيامها

وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك • وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب • وقد ورد المغرب كما في الحديث بمعناه • وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا يزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا • وخروج المهدي وما نال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي تخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطايفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه • وقال بقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله • وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فحمل علي عايشة عند خروجها الى البصرة • وان عمارا يقتله الفية الباغية فقتله اصحاب معوية • وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك

وويل لك من الناس • وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه • وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها • وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار • وان مسيلمة يعقره الله • وان فاطمة اول اهله لحوقا به • وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي • وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم تكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم تكون عتوا وجبروة وفسادا في الامة • واخبر بشان اويس القرني وبامرا يوخرون الصلوة عن وقتها • وسيكون في امتي ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة • وفي حديث اخر ثلثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان • وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون • وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه

وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش ● قال أبو هريرة رواية لو شئت لسميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة ● وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة ● وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد ● قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ● وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم

فاصبنا

فاصبنا القتلة وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم ● وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم ● وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال ● وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون ● وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى ذلك اليوم بموت كسرى فلما تحقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام ● قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده ● وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف ● وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه ● وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد ● وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد ● وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست

سواري كسرى فلما أتي بهما لعمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله
الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين
دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجبى إليها خزائن الأرض يخسف
بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له أبو
الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو
عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام
أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو
خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها
في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه
من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه
أنسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء
وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه
في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل
الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا
بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه

لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته
إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه
وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى ما أخبر به من
الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها
كقوله لعمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات حلولها
وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار
وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا
يشتمل على أجزاء وحده فيما أشرنا إليه نكت من نكت الأحاديث
التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة فصل
في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله
تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك
فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
أعداءه المشركين وقيل غير هذا وإنا كفيناك المستهزئين وقال
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو
علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن
عبد الله المعافري قالا حدثنا أبو الحسن الصيرفي قال حدثنا أبو
يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا أبو العباس المروزي
حدثنا أبو عيسى الحافظ الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا

مُسْلِمُ بن ابرهيم حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن
عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس
فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل • وروي أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها
فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فأرعدت
يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت هذه الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن
عورث بن الحرث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله
عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير
الناس • وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر
وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله • وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي
أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل أسلم فلما رجع
إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما
كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض
طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت
أنه ملك فأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين اذكروا نعمة الله

عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية • وفي رواية
الخطابي أن غورث بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر • وقيل في
قصة غير هذا وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم إذ هم قوم الآية • وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما
يطؤها كثيبا أهيل • وذكر ابن اسحق عنها أنه لما بلغها نزول
تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم
أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه
أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا
أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا
أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه • وعن الحكم بن أبي العاصي تواعدنا
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا
ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى

صلى الله عليه وسلم

صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رآناه
جاء الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه • وعن عمر تواعدت
أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى فهل ترى لهم
من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال أنج وفرّا هاربين
فكانت من مقدمات إسلام عمر • ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما أخافه قريش واجتمعت على قتله
وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن
العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا
ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل
أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو
كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الصديق
الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم
بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي صلى
الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية

إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن
فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما هاهنا • وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم • وفي خبر آخر
أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع
إلى موضعه وجاء فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده
ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله
أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي
دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه • وذكر السمرقندي
أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله
فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن هاتين القصتين
نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين • ومن ذلك ما ذكره

ابن اسحق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس
إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم
ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت
وحكى السمرقندي انه خرج إلى بني النضير ليستعين في عقل
الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن أخطب
اجلس يا أبا القسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد
حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير
معنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن
رأى النبي يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه
وسلم اعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق
مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق
أجنحة قد ملأت الأرض فقال عليه السلام تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله
عليه وسلم كلا ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى

إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي
أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال
اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ
من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض
الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وعن فضالة
ابن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما
كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي
ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما
خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر
بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه
وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت
فلم يره يفعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن
أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له
تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به
وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على
قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره

بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدين
والدنيا ومعرفته من امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبيا
والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم
وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم
والمعرفة بمدد هم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل
امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين
بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتوا على لغات العرب
وغريب فنونها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها
وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع
كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى
تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي
مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيا الا من

جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية اذا
سمع ما يدعوا اليه صوبه واستحسنه دون اقامة برهان عليه
ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان
به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتوا على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم من ما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله
عليه السلام الرويا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله
الرويا ثلث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا
تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رويا
المومن تكذب وقوله اصل كل دا البردة وما روي
عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي
العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعا شرا
من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث

للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سُئل عن سبا أرجل هو
أو امرأة أو أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام
منهم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب
ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في الحوض زواياه
سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك
مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله
وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب
قبلة وقوله لعيينة أو للأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع أنه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء
حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معوية
أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق الدواة
وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله

اشالها

تمدوا

ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى
الله عليه وسلم كتب ولا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظ
معاني أشعارها فأمر مشهور وقد نبهنا على بعضه في أول الكتاب
وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث
سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل
وقوله في حديث أبي هريرة اشكنب درد أي وجع البطن
بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم هذا ولا نقوم به ولا ببعضه
الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب وأفنى فيه أهلها
عمره وهو رجل كما قال الله أمي لم يكتب ولم يقرا
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم
ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها
قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبار أوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ
لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن
نقطة في بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد
لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا
قولهم أساطير الأولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله

فقصصناه

لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما
قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه اما سلمان
أو العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان
أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه
وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن
قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن
نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى
الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما
منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده
أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما
يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحرث بما كان يمخرق
به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال انه استمد
منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة

أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم
يطل فيهما مكثه مدة تحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب
عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى
حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل أمر فصل ومن خصايصه عليه
السلام وكراماته وباهر آياته وأنباؤه مع الملائكة والجن
وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وقال
إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال
إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين
وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية
حدثنا سفين بن أبي العاص الفقيه سماعي عليه حدثنا أبو الليث
السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد
الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ
حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سليمن الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى
جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع

جبريل واسرافيل وغيرهما من الملايكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور • وقد راهم بحضرته
جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة • وراي ابن عباس واسامة
وغيرهما عنده جبريل في صورة دحيه • وراي سعد على يمينه
ويساره جبريل وميكايل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض
ومثله عن غير واحد • وسمع بعضهم زجر الملايكة خيلها
يوم بدر وبعضهم راي تطاير الروس من الكفار ولا يرون
الضارب • وراي ابو سفين بن الحرث يوميذ رجالا بيضا على
خيل بلق بين السما والارض ما يقوم لها شي • وقد كانت الملايكة
تصافح عمران ابن الحصين واري النبي صلى الله عليه وسلم
لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراي عبد الله بن
مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط •
وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك • وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت
قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن

وراي بعض اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان صح

صلى الله عليه وسلم

بعده

بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من
القران • وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسودا التي
خرجت له ناشرة شعرها عريانه فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له تلك العزى • وقال عليه السلام ان شيطانا
تفلت البارحه ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية
فرده الله خاسيا وهذا باب واسع فصل ومن دلايل نبوته وعلامات
رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلما اهل
الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه • وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثه وكعب بن لوي وسفين بن
مجاشع وقس بن ساعده وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقه بن نوفل
وعثكلان الحميري وعلما يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره • وما القي من ذلك في التوراة والانجيل
مما قد جمعه العلما وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل
ابن سلام وابني سعيه وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن اسلم من علما يهود وبحيرا ونسطور الحبشه وضغاطر

العزى

الكتب

وتميم الداري

واسقف الشام وصاحب بصري والجارود وسلمان والنجاشي
ونصاري الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء
النصاري وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومية عالما النصاري
ورءساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة علي البقاء علي
الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود
والنصاري بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك
وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
علي الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما
الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ
القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الي ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد
بن قارب وخنافر وافعي نجران وجذل بن جذل الكندي
وابن خلصة الدوسي وسعدي بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة الي ما ظهر علي السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب

الجن

واجواف

واجواف الصور وما وجد من اسماء النبي صلي الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم
وما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم
مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته
امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته
شاخصا ببصره الي السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند
ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم
وظهور النور عند ولادته حتي ما تنظر الا النور وقول الشفاء
ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام علي يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتي نظرت الي قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها
وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جري من العجائب ليلة مولده من
ارتجاج ايوان كسري وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود
نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه
ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا ولم يرووا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلي الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق

التمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية
وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور
عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه يحمل عليه الحجارة
وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره فقال له عمه ما بالك
فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله تعالى له بالغمام
في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان
يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج
معه في سفره ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه
تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت
وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه في
الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل
لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا
يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي
إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره بالمدينة وفي بيته وأن
بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند
موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة
الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك
الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه
أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر

والملائكة

والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كرامته
وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد
بذريته فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في
واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص
المفصل ومن كثير الأحاديث الطوال وغريبها على ما صح واشتهر
إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي
أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات
نبينا أظهر من معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه
لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم من الأنبياء يقف على ذلك إن شاء الله تعالى
وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز
فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية
في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف
كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه
معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه

أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم به مع
ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي
القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة
ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك عشر كلمات
فيجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة
آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من
هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه إعجاز أخر من الأخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة
الواحدة من هذه التجزية الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز
الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا
يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث
الواردة والأخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الأبواب
وعن ما دل على أمره من ما أشرنا إلى جمله يبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات
الرسل كانت بقدر همم أهل أزمانهم وبحسب الفن الذي
قد سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية أهله السحر
بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه

فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم
وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله
فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت
وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر
معجزات الأنبياء عليهم السلام ثم إن الله تعالى بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها
أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه
القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب
والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه
ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن
الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد
النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء
والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها
ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر

التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيمة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو اسحق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى

آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض عليه الجفن ويغضي وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا ترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا

عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر • وأما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله تعالى القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق • وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها • وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم من ما لا يشكون فيه • ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك

حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى • واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله تعالى زلفى • ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه • ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا • ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين •

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله • القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم • قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه • وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره • وحكم الصلاة عليه السلام وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم الباب الأول في

فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته. إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم الإيمان إلا به ولا يصح الإسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا. حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقرائتي عليه حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا أبو الحسين حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلا بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك

اللسان

باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة. وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق. قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على

فقال

علامة

الظواهر مما أظهروه من علامات الإسلام إذ لم تجعل
للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عنها وذم ذلك وقال هلا شققت
عن قلبه • والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان
أخريان بين هذين أحدهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل
اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم
من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا
مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره • وهذا هو الصحيح
في هذا الوجه • الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما لم
يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة • فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق
والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد
وليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان إذ الشهادة
إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح • وهذه نبذ
تفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما

[margin: ... الإسلام ... / ... هو ... ظاهر]

أنه

وفي الزيادة فيهما والنقصان • وهل التجزي ممتنع على مجرد
التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل
أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين
وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف • وفيما ذكرناه غنية
فيما قصدنا إن شاء الله تعالى فصل وأما وجوب طاعته فإذا
وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن
ذلك مما أتى به • قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله
وقال قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
وقال وإن تطيعوه تهتدوا • وقال من يطع الرسول فقد أطاع
الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا •
وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية • وقال وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته • ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد
على مخالفته بسوء العقاب • فأوجب امتثال أمره واجتناب
نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته
والتسليم لما جاء به • وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا فرض
طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته •
يطع الله في فرائضه • وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلا

[margin: عد]

فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا
الله في فرايضه والرسول في سنته • وقيل أطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم • ويقال أطيعوا الله بالشهادة له
بالربوبية والنبي بالشهادة له بالرسالة حدثنا أبو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد
بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
البخاري حدثنا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري
واخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن
عصا أميري فقد عصاني وطاعة الرسول من طاعة الله • إذ
الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له • وقد
حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول فتمنوا طاعته
حيث لا ينفعهم التمني • وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن
شيء فاجتنبوه • وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم • وفي
حديث أبي هريرة عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة
الا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد أبى • وفي الحديث الآخر الصحيح

بالنبوة

أمري

تأمرت

٩٦

عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى
قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان
فالنجا فأطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طايفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جيت
به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق • وفي الحديث
الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم
يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة
والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا
فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل وأما وجوب
اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم • وقال فآمنوا
بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون • وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك إلى قوله
تسليما أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد
وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر الآية • قال محمد بن علي الترمذي الإسوة في
الرسول الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو

فرق

فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين
عنه • وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لئن الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم • ووعدهم محبته تعالى
في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على أهوائهم
وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه • وروى عن الحسن أن
أقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله • فأنزل الله تعالى قل إن كنتم
تحبون الله الآية • وروى ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن أشد حبا لله •
فأنزل الله الآية • وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أي
تقصدون طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه
عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق • ومن العباد
طاعة كما قال القائل •

• تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •
• لو كان حبك صادقا لأطعته • إن المحب لمن يحب مطيع •

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته

له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنايه عليه •
قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات • وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير
هذا بحول الله تعالى • حدثنا أبو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
حدثنا أبو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا أبو الحسن يونس
بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد
قال حدثنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر الاجري
حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد
حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن
العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ • واياكم ومحدثات الامور فإن كل
محدثة بدعة • وكل بدعة ضلالة • زاد في حديث جابر بمعناه
وكل ضلالة في النار • وفي حديث أبي رافع عنه عليه
السلام لا ألفين أحدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر
من امري مما أمرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه • وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي

صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي
أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية • وروي عنه
عليه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القرآن
ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي
بأن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي ومن رضي
بقولي فقد رضي بالقرآن • قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني
ومن رغب عن سنتي فليس مني • وعن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها • وعن عبد الله بن
عمرو بن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة
عادلة • وعن الحسن بن الحسن قال عليه السلام عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة • وقال عليه السلام إن الله يدخل
العبد الجنة بالسنة يتمسك بها • وعن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة
شهيد • وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين
وسبعين ملة • وان أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها

في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه
اليوم وأصحابي • وعن أنس قال عليه السلام من أحيا سنتي
فقد أحياني • ومن أحياني كان معي • وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من
أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من
عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا • ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل من عمل بها لا
ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا فصل وأما ما ورد عن السلف
والأئمة في اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيره فحدثنا الشيخ
أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعا
عليه حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم
بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا
يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن أسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة
السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي ان الله بعث إلينا محمدا ولا
نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل • وقال عمر بن عبد العزيز
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ
بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله • وقوة

على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي
من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن
خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم
وساءت مصيرا وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن
رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن أي
اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن
فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبره حين
صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمن ترى
اني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه إلا أني لست بنبي
ولا يوحى إلي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ما استطعت وكان بن مسعود يقول القصد في السنة
خير من الاجتهاد في البدعة وقال بن عمر صلوة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن كعب عليكم
بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما

على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط
الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة
وانظروا ان يكون عملكم إن كان اجتهادا او اقتصادا أن
يكون على منهاج الأنبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن
عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
أو يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب إليه عمر
خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا
أصلحهم الله وعن عطا في قوله فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا اتباعها وقال عمر ونظر إلى الحجر الأسود انك حجر لا
تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته
في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمن الحيري من أمر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر

الهوى على نفسه نطق بالبدعة • وقال سهل التستري اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال
وجا في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول
الله صلى الله عليه وسلم • وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما
مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر • ولم اتجرد
فرايت تلك الليلة قايلا يقول يا احمد ابشر فان الله قد غفر
لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت
قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب • قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم • وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية • حدثنا ابو محمد عبد الله بن
ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو
الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا
سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن
عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم خرج الى المقبرة • وذكر الحديث في صفة امته
وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك
فاقول فسحقا فسحقا • وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني • وقال من ادخل في امرنا ما
ليس منه فهو رد • وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه
الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما
وجدنا في كتاب الله اتبعناه • زاد في حديث المقدام
الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله
وقال عليه السلام وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
او قال ضلالا ان يرغبوا عما جا به نبيهم الى غير نبيهم او
كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم الاية • وقال عليه السلام هلك المتنطعون • وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان
تركت شيا من امره ان ازيغ • الباب الثاني في لزوم محبته •
قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية • فكفى بهذا حظا وتنبيها

وذلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام إذ قرّع تعالى من كان
ماله واهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم
بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسّقهم بتمام الآية
وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني
الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا
سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا
المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
إسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده
والناس أجمعين وعن أبي هريرة نحوه وعن أنس عنه
عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه
إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف
في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي

أنزل

أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من
لم ير ولاية الرسول عليه السلام عليه في جميع الأحوال ويرى
نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته عليه السلام حدثنا
أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد قال
حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان
حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي
الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت
لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله
ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة
هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول
الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني
أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس
وعن أبي ذر بمعناه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضي
الله عنهما فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما
كان معي في درجتي يوم القيمه وروي أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي
من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجي فأنظر
إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقراها
عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع
من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل
الله الآيه وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأيمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد
حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن
سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود

أحدهم

آخر الجزء الخامس عشر من ثلثين

أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وقد تقدم حديث
عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من
نفسي وما تقدم عن الصحابه في مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراشه
إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ويسميهم
ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم
فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر
أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام
أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافه
وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر
بن الخطاب قاله للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطا
لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها
يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو كما تحبين قالت
أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا
من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت
وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلاة الأبرار ۝ صلى عليه الطيبون الأخيار ۝
قد كنت قواما بكى بالأسحار ۝ يا ليت شعري والمنايا أطوار ۝
هل تجمعني وحبيبي الدار ۝ تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول ۝ وروي أن عبد الله
بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك
فصاح يا محمداه فانتشرت ۝ ولما احتضر بلال نادت امرأته
واحرباه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه ۝
ويروى أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ۝ ولما أخرج
أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفين
بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا
مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله
ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه
شوكة وأني جالس في أهلي ۝ فقال أبو سفين ما رأيت من الناس
أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم

الله

وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه
وسلم أحلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض
عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ۝ ووقف ابن عمر
على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما
قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته عليه السلام
اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن
صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي
صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال
أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره
ومنشطه ومكرهه ۝ وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ۝ وإيثار ما شرعه وحض على
هوى نفسه وموافقة شهوته ۝ قال الله تعالى والذين تبوءوا
الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ۝ وإسخاط العباد في رضا
الله ۝ حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله حدثنا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي
حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو

عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري
عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن
قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم
قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن
أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو
ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به
فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله
ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره
له فمن أحب شيئا أكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه إلى
لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين
عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة
محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع
كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال إسحق التجيبي كان أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت

جلودهم

جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من
يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا
ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من أهل بيته وصحابته والمهاجرين والأنصار وعداوة من
عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب
من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم
إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه
وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن
أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعايشة
في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار
وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة
من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى
في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي
صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي القصعة فما زلت

أحب الدنيا من يومئذ. وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن
عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما
مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن
عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يفعل ذلك. ومنها بغض من أبغض الله ورسوله
ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل أمر يخالف شريعته. قال الله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباهم وقاتلوا آباهم
وأبناهم في مرضاته. وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو
شئت لأتيتك برأسه يعني أباه. ومنها أن يحب القرآن
الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى. وتخلق به حتى
قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل
به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها. قال سهل
بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله
وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب
النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة
حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة. وقال ابن

مسعود

مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب
القرآن فهو يحب الله ورسوله. ومن علامات حبه للنبي صلى
الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا
رحيما. ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره
الفقر واتصافه به. وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري
إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى
الوادي أو الجبل إلى أسفله. وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحبك فقال انظر ما تقول
قال والله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر
تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه. فصل في معنى
المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها. اختلف الناس في
تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت
عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال
ولكنها اختلاف أحوال. فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه
السلام كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
الآية. وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته. وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب. وقال آخر إيثار المحبوب. وقال بعضهم

صح مخالفتها

المحبة الشوق إلى المحبوب ۞ وقال بعضهم المحبة مواطات
القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره ۞ وقال آخر المحبة
ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة اشارة
إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما
يوافق الإنسان ويكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة
اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له أو
لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف ۞ والمأثور عنهم
السير الجميلة والأفعال الحسنة ۞ فإن طبع الإنسان مائل إلى
الشغف بامثال هولا حتى بلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة أخرين ما يودي إلى الجلا عن الأوطان وهتك الحرم
واجترام النفوس ۞ أو يكون حبه اياه لموافقته له من جهة
إحسانه إليه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من
أحسن إليها ۞ فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها
في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق
والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج
إلى زيادة ۞ واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد

مر منه في أوصاف الله تعالى له من رافته لهم ورحمته لهم ۞
وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار ۞ وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ۞ ورحمة للعالمين ۞ ومبشرا ونذيرا ۞
وداعيا إلى الله باذنه ۞ ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ۞ فأي
إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين
وأي افضال أعم منفعة وأكثر فايدة من إنعامه على كافة
المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية
وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم ۞ والموجب لهم
البقا الدايم ۞ والنعيم السرمد ۞ فقد استبان لك انه عليه السلام
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار
وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الإحسان وعمومه
الاجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو
مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها
قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ۞ ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم ۞ أولى بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته أو حاكم لما يوثر من قوام طريقته أو قاض بعيد
الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته ۞ فمن جمع هذه الخصال على

الشغف — أخرى

النعم

قاض

غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي
رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل
في وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا
نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية
حدثنا القاضي الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين
بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا أحمد بن يونس
حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن
تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول
الله قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم
قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين
وعامتهم واجبة قال الامام أبو سليمن البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة

الإخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال أبو بكر بن أبي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي
به الصلاح والملائمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب وقال أبو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله
تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه
عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل
بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه
والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر
به ونهى عنه قاله أبو سليمن وقال أبو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها
ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
أبو ابرهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله واليها والى
العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر
الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته

ونصحاً بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والحماية
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له • وبذل النفوس
والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية • وقال وينصرون الله ورسوله الآية • وأما
نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها
وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره يكون
النصيحة احدى ثمرات المحبة • وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الإمام أبو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث أحد
ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في
النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقال له بما فقال صعدت
في ذروة جبل يوماً فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم
فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته
ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي • وأما النصيحة
لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به
وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه
وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب

تعلم

عمرو

الناس

الناس وافساد قلوبهم عليهم • والنصح لعامة المسلمين ارشادهم
إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم والله
التوفيق الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره
عليه السلام • قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه • وقال يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله • ويا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات • وقال
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فأوجب الله
تعالى تعزيره وتوقيره والزم إكرامه وتعظيمه • قال ابن
عباس تعزروه تجلوه • وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه
وقال الأخفش تنصرونه • وقال الطبري تعينونه وقرئ
تعززوه بزايين من العز ونهي عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره • وهو
اختيار ثعلب • قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا
قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر
قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره
من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا يرجع قول

الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك وقال واتقوا الله إن الله سميع عليم • قال الماوردي
اتقوه يعني في التقدم • وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه
وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع
الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه •
قال ابو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام و تغلظوا له بالخطاب
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
ونادوه باشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله تعالى في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا على أحد التأويلين • قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إنهم فعلوا ذلك وحذرهم
منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم • وقيل في غيرهم أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهر ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون •
وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر
وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت أصواتهما • وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم

وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية
أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا
الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل
الجنة فقتل يوم اليمامة • وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه
الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها أبدا إلا كأخي
السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان
يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول
الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم •
وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون
في غير بني تميم نادوه باسمه • وروى صفوان بن عسال بينا
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري
أيا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن
رفع الصوت • وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته

لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن
قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبيه لهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره وإجلاله حدثنا أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي
بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد
بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين
حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن
منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح حدثني
يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو
بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد
أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني
منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت
أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على
أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر
فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا
ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما
وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه

وأصحابه حوله جلوس كأنما على رؤوسهم الطير وفي حديث
صفته عليه السلام إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما
رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه
ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا
بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها
وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش
قال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في
ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قومه
قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا قط
يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا
يسلمونه أبدا وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن
يقع شعرة إلا في يد رجل ومن هذا لما أذنت قريش لعثمن في
الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم
في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم قالوا الاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه
وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث
المغيرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون
بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أن
أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره سنين من
هيبته فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد
موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك
عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته
قال أبو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو
ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال القاضي أبو الفضل وهذه
كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري
وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه

قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث حدثنا أبو
الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن
المفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله المنتاب حدثنا يعقوب بن
إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما
فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما
فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم
قوما فقال إن الذين ينادونك الآية وإن حرمته ميتا كحرمته
حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل
القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم
تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام
إلى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله
قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقال مالك
وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب
أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير
أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه
فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي

صلي الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم
علي ما ترون لقد كنت أري محمد بن المنكدر وكان سيد
القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه
ولقد كنت أري جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما
رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة
ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلث خصال إما
مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان
من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر
إلي لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله
بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنا
الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه
ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من
المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة

أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على
مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا
وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده
حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن
بن مهدي إذا قرئ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه
يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله عليه السلام

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسن
بن محمد الحافظ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر
البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر
حدثنا أحمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى
ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته
ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من
ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه

رفيه

الجزء الثاني عشر من [illegible]

ليتحدر

وانتفخت أوداجه • وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري
قاضي المدينة مرّ مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث
فجازه • وقال إني لم أجد موضعاً أجلس فيه فكرهت أن آخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم • وقال مالك جاء
رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه
فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع • وروي عن محمد
بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع • وقال أبو مصعب كان مالك
بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
وهو على وضوء إجلالاً له • وحكى مالك ذلك عن جعفر بن
محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم
حدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكاً خرجت
إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم • وإن قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمم
ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فخرج فجلس عليها

وعليه

وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة
إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس
فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً قال وكان
يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو وهو مستعجل وقال
أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار
بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن
قتادة قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته
عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق
عنه الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً قال نعم
إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بن مهدي مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد
الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه
قاض فقال القاضي أحق من أدب • وذكر أن هشام بن
الغاز سأل مالكاً عن حديث وهو واقف فضربه عشرين

ق

سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو
زادني سياطا ويزيدني حديثا • قال عبد الله بن صالح كان مالك
والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران • وكان قتادة
يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء
ولا يحدث إلا على طهارة • وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث
وهو على غير وضوء تيمم • فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه
عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم • قال
الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية •
وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم • أخبرنا الشيخ أبو محمد بن
أحمد العدل من كتابه وكتبته من أصله حدثنا أبو الحسن المقرئ (وكتبته)
الفرغاني حدثتني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت
حدثني أبي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل
حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله وأهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من أهل بيته
قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس • وقال عليه السلام إني
تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • قال عليه السلام معرفة

آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط
والولاية لآل محمد أمان من العذاب • قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم فإذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه • وعن عمر بن
أبي سلمة قال لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
الآية • وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره • ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا • وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت
آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي • وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق • وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله
ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه • وقال
للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته • وقال
هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري
إياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين • وكان
يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما
وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال

أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحب إلي أن أصل من قرابتي • وقال صلى الله عليه وسلم أحب
الله من أحب حسنا وحسينا • وقال من أحبني وأحب هذين
وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي
يوم القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله
وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها • وقال عليه
السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عايشة • وعن عقبة بن الحرث رأيت
أبا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي • وعلي يضحك • وروي عن عبد الله
بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا
كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن
يراك على بابي • وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم
قربت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد
خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا نفعل بالعلما فقبل زيد
يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا • ورأى ابن
عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو
محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه • وقال الأوزاعي
دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه

وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها
عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى
بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا
قضاها • ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله
في ثلاثة الاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة • قال
عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا
كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب
إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي • وبلغ
معاوية أن كابس بن ربيعة كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروي أن
مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل
فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم
فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي • وقيل إن المنصور أقاده
من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد
جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال أبو بكر
بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السما إلى الأرض أحب

إلي من أن أقدمه عليهما • وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم
من ذهاب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر
وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على
النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت
على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره
وبره عليه السلام توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم
فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات •
ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم
بسوء ولا يغمص عليه أمر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد
سيرهم • ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا
ذكر أصحابي فأمسكوا • قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة • وقال تعالى
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية • وقال لقد

رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة • وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الحسين وأبو الفضل قالا
حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينة عن زايدة عن عبد الملك
بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر • وقال أصحابي كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به • وقال
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم • ومن آذاهم فقد آذاني • ومن آذاني
فقد آذى الله • ومن آذى الله يوشك أن يأخذه • وقال لا تسبوا أصحابي
فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه • وقال من سب
أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين • لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا • وقال في حديث
جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين •
واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمن وعليا فجعلهم خير
أصحابي وفي أصحابي كلهم خير • وقال من أحب عمر فقد أحبني •
ومن أبغض عمر فقد أبغضني • وقال مالك بن أنس وغيره من أبغض
الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين حق • ونزع بآية الحشر والذين

جاوا من بعدهم الايه • وقال من غاضه أصحاب محمد فهو كافر • قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار • وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • وقال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين • ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل • ومن أحب عثمن فقد استضا بنور الله • ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى • ومن أحسن الثنا على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برى من النفاق • ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما • وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمن وعن طلحه والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك • أيها الناس ان الله غفر لأهل بدر والحديبيه • أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمه فانها مظلمه لا توهب في القيمه غدا • وقال رجل للمعافي بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاويه فغضب • وقال لا تقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معويه صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه • وكان يبغض عثمن فأبغضه الله • وقال عليه السلام في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن محسنهم

وقال

وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخره ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه • ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه • وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمه • وقال من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد • قال مالك رحمه الله هذا النبي مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم • وروى عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعه يوم القيمه • قال وطلب من المغيره بن نوفل ان يشفع له يوم القيمه • قال سهل بن عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره • فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكه والمدينه ومعاهده وما لمسه عليه السلام أو عرف به • وروي عن صفيه بنت نجده قالت كان لأبي محذوره قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها أصابت الأرض فقيل له الا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده • ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وكانت في قلنسوه خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوه في بعض حروبه

فسد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة من قبل
فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام
لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا
يركب بالمدينة دابة • وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة • وروي عنه أنه وهب للشافعي
كراعًا كثيرًا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا
الجواب • وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان
من الغزاة والرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ
بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده • وقد أفتى مالك
فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر
وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم
يزعم أنها غير طيبة • وفي الصحيح أنه قال عليه السلام في المدينة من
أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا • وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب
النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمن رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها
ومات قبل الحول • وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبًا فليتبوأ
مقعده من النار • وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرًا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيًا منشدًا •

• ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادًا لعرفان الرسوم ولا لبا •
• نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا •
وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول عليه السلام
• أنشأ يقول متمثلًا •
• رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام •
• وإذا المطي بنا بلغن محمدًا فظهورهن على الرحال حرام •
• قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام •
وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيًا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
لا يأتي إلى بيت مولاه راكبًا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت
على قدمي • قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد
فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها
من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين • ومتبوأ خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول
أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدرانها • يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات
• عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات

بها

ومساجد صلوات

وعلى عيدان ملاءات محاجر من تلكم الجدرات والعرصات •
لأعفرن مصون شيبي شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات •
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات •
لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات •
أذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات •
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات •

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الآية • قال ابن عباس معناه ان الله وملئكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم وهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعا للرحمة من الله عز وجل وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا • وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة • وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوة الملئكة الدعا • قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين • واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده • فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم

فأمر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنا السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول به وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة • غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلما له على الوجوب واجمعوا عليه • وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة • وما عدى ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام • وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما • ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك

واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة
من عمره سقط الفرض عنه الذي أمر الله به ورسوله • وقال اصحاب الشافعي
الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا واما
في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة • واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر
الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين • وعلماء
الأمة على أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة
وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد
التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم
تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة
عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد • وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن
لا يصلي أحد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك
ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفين الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم • وحكي
عن مالك وسفين انها في التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد
مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلوة الاعادة وأوجب
اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان • وحكى أبو محمد بن
أبي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي فريضة • قال أبو محمد

ابو

اردنا انها ليست من فرايض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره • وحكى
بن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول
الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه
المسألة • قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا
الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل
السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه
المسألة جدا وهذا تشهد بن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له
النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال بن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد • وقال بن عمر كان
أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب •
وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لا يصلي
علي • قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصلي علي مرة في عمره وضعف
أهل الحديث كلهم روايه هذا الحديث • وفي حديث أبي جعفر عن بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى
أهل بيتي لم يقبل منه • قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر

في

فرايض

محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم **فصل** في المواطن التي تستحب
فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ٭ ومن ذلك في تشهد
الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعا حدثنا القاضي أبو علي رحمه
الله بقراتي عليه حدثنا الامام أبو القاسم البلخي حدثنا الفارسي عن أبي قاسم
الخزاعي عن الهيثم عن أبي عيسى الحافظ حدثنا محمد بن غيلان حدثنا عبد
الله بن يزيد المقرى حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني أن عمرو
بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدا
بتحميد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا
وروي من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح ٭ وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال الدعا والصلوة معلق بين السما والأرض ولا يصعد
إلى الله منه شي حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ٭ وعن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد ٭ وروي ان الدعا
محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم ٭ وعن ابن مسعود
إذا أراد أحدكم ان يسأل الله شيا فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو أهله ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح ٭ وعن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب ٭ فإن الراكب

يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضا
وإلا اهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعا وأوسطه وآخره قال ابن عطا
للدعا أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق
أجنحته طار في السما وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلوة
على محمد صلى الله عليه وسلم ٭ وفي الحديث الدعا بين الصلاتين لا يرد
وفي حديث آخر كل دعا محجوب دون السما فإذا جاءت الصلوة على صعد الدعا
وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعاي
ثم تبدا بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ورسولك
أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين ومن مواطن الصلوة
عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال عليه
السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب ٭ وقال
لا يصلي عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب ٭ قال أصبغ عن ابن
القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما
بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد
لم يكن تسمية له مع الله وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن يجعل الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا ٭ وروى النساي عن أوس بن

ووسطه

أو من عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة
ومواطن الصلوة عليه والسلام دخول المسجد قال أبو إسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم
عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك ● وقال عمرو بن دينار في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد ● وقال النخعي إذا لم
يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ● وعن علقمة إذا دخلت المسجد
أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج
ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله عن
أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هنا
الحديث اخر القسم والاختلاف في ألفاظه ومواطن الصلوة عليه أيضا
الصلوة على الجنائز وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة ● ومن مواطن
الصلوة التي مضى عليها عمل الأمة ولم ينكرها الصلوة على النبي صلى

الله عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في
الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار
الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب ● وقال عليه السلام من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا أبو
القاسم خلف بن ابرهيم المقري الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة
بنت أحمد قالت حدثنا أبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء
والأرض هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد ● وقد روى
مالك عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم
واستحب مالك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام ● قال محمد
بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين
سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن ●
قال مالك في المجموعة واجب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي

محمد

ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم •
فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا أبو إسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
بقرائي عليه حدثنا القاضي ابو الأصبغ حدثنا أبو عبد الله بن عتاب حدثنا أبو بكر
بن واقد وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيي بن يحيي حدثنا
مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن
سليم الزرقي انه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف
نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على
على ابرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم
إنك حميد مجيد • وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما
باركت على آل ابرهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم •
وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على
آل ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم إنك
حميد مجيد • وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي
وعلى آل محمد • وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك
ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه •
وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقرائي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن
سعدون الفقيه حدثنا أبو بكر المطوعي قال حدثنا أبو عبد الله الحاكم
عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن

الحسن عن يحيي بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل
وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم وتحنن على آل محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على
ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل
بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد • وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد • وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق
والخاتم لما سبق • والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل

فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله اسبابه به
هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام
ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على
بناء الناس بناه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من
ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم • وعنه أيضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته
يصلون على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملئكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين • وامام
المتقين • ورسول رب العالمين • الشاهد البشير الداعي إليك باذنك السراج
المنير وعليه السلام • وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين • وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة • اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد • وبارك على محمد وعلى

آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • وكان الحسن
البصري يقول من أراد أن يشرب بالكاس الأوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته وأهل
بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم أجمعين يا
أرحم الراحمين • وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى
كما آتيت ابرهيم وموسى • وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم
اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك
واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيمة • وعن ابن مسعود انه
كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلوة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد • وما يؤثر في تطويل
الصلوة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم كثير • وقوله والسلام
كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين • وفي تشهد علي السلام

على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد
بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته جا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي صلى الله عليه
وسلم بالغفران وفي حديث الصلوة عليه ايضا فيل الدعا له بالرحمة ولم
يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفه وقد ذهب ابو عمر بن عبد
البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة
التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن
ابي زيد في الصلوة على النبي اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابرهيم
وال ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم والتسليم عليه والدعا له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح
من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاويه
حدثنا النساي اخبرنا سويد بن نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال
اخبرني كعب بن علقمه انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد
الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد

الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني
ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي
طلحه وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال
اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له
شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكه
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعه سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكه ما
صلى علي فليقل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جات
الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني
اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شيت قال الربع قال ما شيت
وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شيت وان زدت فهو خير قال النصف

قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو
خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال إذا تكفى وتغفر
ذنبك • وعن أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره
وطلاقته ما لم أره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني إليك ابشرك انه ليس أحد من أمتك
يصلي عليك الا صلى الله وملئكته بها عشرا • وعن جابر بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة • وعن سعد بن أبي وقاص من
قال حين يسمع النداء وأنا أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له •
وروى بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق
رقبة • وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم الا بكثرة صلوتهم
علي • وفي آخر ان أنجاكم يوم القيمة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة •
وعن أبي بكر الصديق الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب
من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب فصل في ذم
من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه حدثنا القاضي الشهيد أبو
علي رحمه الله حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا
حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمد

بن ابرهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد
بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ
قبل أن يغفر له • ورغم أنف رجل ادرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر ان النبي
صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم
أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات دخل النار
وأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال فمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات
مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثل ذلك
وعن علي بن أبي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل الذي إذا ذكرت
عنده فلم يصل علي • وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطى به طريق
الجنة • وعن علي بن أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي • وعن أبي هريرة قال
أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا
الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن
شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم • وعن أبي هريرة من نسي الصلوة علي نسي
طريق الجنة • وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء أن أذكر عند

الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم
تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة ٥ وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ٥ حكى ابو عيسى الترمذي عن
بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس
اجزى عنه ما كان في ذلك المجلس ٥ فصل في تخصيصه عليه السلام
بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم عليه من الانام ٥ حدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي نا الحسين نا محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المومن نا ابن داسة نا ابو
داود نا ابن عوف نا المقرى نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن
عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام ٥ وذكر
ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته ٥ وعن ابن
مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه
عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يوتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين
يفرغ منها صلى الله عليه وسلم ٥ وعن الحسن عنه عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا علي
فان صلوتكم تبلغني ٥ وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي

عليه الا بلغه ٥ وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه
وسلم عرض عليه اسمه ٥ وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي ٥ وعن سليمن بن سحيم (سليمان) رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين ياتوك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم (اتفقه) قال نعم
وارد عليهم ٥ وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما
يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء ٥ وما من مسلم
يصلي علي الا حملها ملك حتى يوديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان
فلانا يقول كذا وكذا ٥ فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم وساير الانبياء عليهم السلام ٥ قال القاضي الامام ابو
الفضل وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد
الا النبيين ٥ وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي ٥ ووجدت بخط
بعض شيوخي (شيوخ) مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى
محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه ٥ وقد قال مالك

في المبسوطة ليحيى بن اسحق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي
لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس
بالصلوة على الأنبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث بن عمر وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى أزواجه
وعلى آله • وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن بن عباس
كراهية الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال فانه نقول ولم يكن
يستعمل فيما مضى • وقد روى عن عبد الرزاق عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبيا الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني
قالوا والأسانيد عن بن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعا • وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع وقد
قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته الآية • وقال خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية • وقال أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى
وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان • وفي حديث
الصلوة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته • وفي آخر وعلى آل
محمد قيل اتباعه وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل
الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة • وفي
رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي •
ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول

صح واحتجوا

صح كراهه

في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه
لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلوة
على محمد نفسه • وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير
آل داود يريد من مزامير داود • وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلوة
اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته • وفي حديث بن عمر انه كان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبو بكر وعمر ذكره مالك في الموطا
من رواية يحيى الاندلسي • وروى بن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون
الليل ويصومون النهار • قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون وأميل
اليه ما قاله مالك وسفين رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد من الفقها والمتكلمين انه لا يصلى على غير الأنبيا عند ذكرهم بل
هو شي يختص به الأنبيا توقيرا لهم وتعزيزا كما خص الله تعالى عند
ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب
تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبيا بالصلاة والتسليم •
ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما •
ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان • وقال تعالى
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية • وقال والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم • وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر

الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثه الرافضة والمتشيعة في بعض
الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك • وذكر الصلوة على الآل والأزواج مع النبي صلى
الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على حكم التخصيص قالوا
وصلاة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها
معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا • وكذلك (فكذلك) يجب أن يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض • وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الأسفرايني
من شيوخنا وبه قال أبو عمر بن عبد البر **فصل** في حكم زيارة قبره
السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجتمع عليها وفضيلة
مرغب فيها • روي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي • وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيمة • وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني
في حياتي وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة للاسم لما ورد من قوله عليه السلام
لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل أن
الزائر أفضل من المزور • وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس عموما • وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ في حقه تعالى والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له
لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه
لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر
والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم قال إسحق
بن إبرهيم الفقيه • ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى
الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان
يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره (عمره) وقصده من
الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله • وقال ابن أبي فديك
سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى
الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة • وعن يزيد بن سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد
العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد إليه البريد من

رسول الله صح اصل

الشام • قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس
القبر بيده • وقال في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضي قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم يكون
وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على رأسه • وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يأتي
القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبو بكر
السلام على أبي ثم ينصرف • وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي
أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى أبي
بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعوا لأبي بكر وعمر قال مالك
في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر • قال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي
أنه يدعوا للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولأبي بكر وعمر كما
في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله
وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم • ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام
ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك
وفي الروضة أفضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما
وأكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا
تدع أن تأتي مسجد قبا وقبور الشهدا • قال مالك في كتاب محمد ويسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج
مسافرا • وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي
رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك
من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم • وعن محمد
بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك • وعن فاطمة
أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد •

وروي وأصحابه على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون

ليس في النسخة المنسوخ منها

وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي
هريرة رضي الله عنه إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل
المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغربا
وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر
فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة
والمرتين وأكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا
عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا
ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت
أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأي
قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغربا لأن الغربا قصدوا لذلك
وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال
عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب
أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه
للغربا أحب إلي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم
وعن ابن عباس أنه مسجد قبا حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه
قال نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابن عمر النمري نا أبو محمد بن عبد
المؤمن نا أبو بكر بن داسه نا أبو داود نا مسدد نا سفين عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه

الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم • وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف • قال لو كنت من هاتين القريتين لعلوتك بالدرة ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت • قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت • ولا بشي من الاذا وان ينزه عن ما يكره • قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون ان حكم ساير المساجد هذا الحكم • قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا • وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام • قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثني على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه • وقال بن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول افضل من الصلوة في ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف • واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوه فيما سواه فتأتي

مبسوطه

فضيله مسجد الرسول عليه بتسع مايه • وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينه على مكه على ما قدمنا وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين • وذهب اهل مكه والكوفه الى تفضيل مكه وهو قول بن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك • وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوه في المسجد الحرام افضل • واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمايه صلاة • وروي قتاده مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في ساير المساجد بمايه الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض • قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفه حكم مكه لساير المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينه • وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض • وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا • قال وجمعه خير من جمعه ورمضان خير من رمضان • وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينه وغيرها حديثا نحوه • وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنه ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي • وفي حديث اخر منبري على ترعه من ترع الجنة • قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه ما

بين حجرتي ومنبري • والثاني ان البيت هنا القبر • وهو قول زيد بن
أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري • قال الطبري واذا
كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لأن
قبره في حجرته وهو بيته • وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه
منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر • والثاني أن يكون له
هناك منبر • والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال
الصالحة تورد الحوض وتوجب الشرب منه قاله الباجي • وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما انه موجب لذلك وان الدعاء
والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف • والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون بالجنة بعينها
قاله الداودي • وروي بن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوايها وشدتها أحد الا كنت له
شهيدا أو شفيعا يوم القيمة • وقال فيمن يحتمل عن المدينة والمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون • وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
• وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها الا أبدلها الله خيرا منه
• وروي عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا
بعثه الله يوم القيمة لا حساب ولا عذاب • وفي طريق أخر بعث
من الآمنين يوم القيمة • وعن بن عمر من استطاع أن يموت
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها • وقال تعالى إن أول بيت

وضع للناس للذي ببكة إلى قوله امنا • قال بعض المفسرين امنا من
النار • وقيل بل كان يامن من الطلب من أحدث حدثا ولجا اليه في
الجاهلية • وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول
بعضهم • وحكي أن قوما أتو سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن
كنانة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي
ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة
أدا فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
له على الله دين فليقم • ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك • وفي الحديث عنه عليه السلام
قال ما من أحد يدعوا الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب • وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر • وحشر يوم القيمة من الآمنين • قرأت
على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس العذري حدثنا
أبو اسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق
سمعت أبا الحسين محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد
بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين بن عيينة سمعت عمرو
بن دينار سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا أحد بشيء في الملتزم الا استجيب له • قال بن عباس وأنا

فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلا استجيب لي • وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله
بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي • وقال
سفين وأنا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
إلا استجيب لي • قال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشي في الملتزم منذ
سمعت هذا من سفين الا استجيب لي • وقال محمد بن ادريس وأنا
فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا
استجيب لي • وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله
بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس الا استجيب لي
وقال ابو أسامه وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا • وأنا
فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن
رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وأنا ارجوا أن يستجاب لي من امر
الأخرة • قال العذري وأنا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من أبي اسامة الا استجيب لي • قال ابو علي وأنا فقد
دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وأنا أرجوا من سعة
فضله أن يستجيب لي بقيتها • قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب
لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفايدة والله الموفق للصواب
برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل

الحسن

يكن

أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه قال
الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفاين مات أو قتل
الأيه • وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه
كانا ياكلان الطعام • وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الأسواق • وقال قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الأيه
فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا من البشر ارسلوا إلى البشر ولولا
ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان الا في صورة البشر
الذي يمكنكم مخالطتهم إذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورويته إذ كان على صورته • وقال قل لو كان في الأرض مليكة يمشون
مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ان لا يمكن في سنة
الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل فالانبيا والرسل وسايط بين الله
وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
وظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طاري عليها ما
يطرا على البشر من الاعراض والأسقام والموت والفنا ونعوت الإنسانية
وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملا
الأعلا متشبهة بصفات المليكة سليمة من التغير والأفات لا

مخاطبتهم

لحقها غاية العجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم
خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ● ولو كانت أجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ● ومن أرسلوا
إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر
مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي ● وقال
إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن
الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا تخلو
أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام
أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ● ولكن جرى
رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح فجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار

وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان
من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة ● وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من
الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله
فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه
وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد
والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه
والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين ● هنا ما وقع إجماع
المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه
ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد
طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه
وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه الثاني** أن إبراهيم عليه السلام
إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه (بسؤاله)
ويكون قوله أولم تؤمن أي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في
الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع مجوز في النظريات فأراد الانتقال

من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان
ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين
بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب والمراد اقدرني على
احيا الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه
أرا من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه
السلام نحن أحق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر
الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتى فلو
شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الأدب او ان يريد امته
الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق إن حملت قصة
ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في
شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتين
فاحذر ثبتك الله فلباك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن
عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحى الله اليه
وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في

شك النبي

شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس
إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي
صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير
قال بكر بن العلا الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب
به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فاسأل به خبيرا المامور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي
والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك
الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرون الكتاب انما
هو فيما قصه من أخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل
هذا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب
مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قال القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من
قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن الى آخر
الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسرى عن ذلك فكان اشد يقينا
من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد
وقيل سل أمم من أرسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعث به

الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لأحد ردًّا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى • وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين • أي في علمهم بأنك رسول الله وان لم يقروا بذلك • وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول الآيه • وقد يكون أيضًا على مثل ما تقدم أي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآيه أفغير الله أبتغي حكمًا الآيه • وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلمًا الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضايلك • وحكي عن أبي عبيده ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما أنزلناه فإن قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراه التخفيف • قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشه معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك أن الرسل لما استيئسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين • وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعه من العلما • وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا وكذلك ما ورد

في حديث السيره ومبدا الوحي من قوله لخديجه لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما أتاه الله بعد رويه الملك ولكن لعله خشي ان لا يحتمل قوته مقاومه الملك واعبا الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقايه الملك او يكون ذلك قبل لقايه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوه لاول ما عرضت عليه من العجايب • وسلم عليه الحجر والشجر وبدايه المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان أولًا في المنام ثم أري في اليقظه مثل ذلك تانيسًا له عليه السلام ليلا يفجاه الامر مشافهه فلا يحتمله لاول حاله بنيه البشريه وفي الصحيح عن عايشه أول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقه قالت ثم حبب اليه الخلا • وقالت الى ان جاه الحق وهو في غار حرا الحديث • وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكه خمس عشره سنه يسمع الصوت ولا يرى الضو سبع سنين • ولا يرى شيا أو ثمان سنين يوحى اليه • وقد روى ابن اسحق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حرا • قال فجاني وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عايشه في غطه له واقرايه اقرا باسم ربك السوره قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلا

لقايه

فلتها فبينا انا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادي من السماء يا محمد أنت
رسول الله وأنا جبريل فوقفت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر
الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل
لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره واصطفاه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال
لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون
هذا الأمر ومن رواية حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً وأخشى أن يكون بي
جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد
شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه
كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله أنه رسوله فكيف
وبعض هذه الألفاظ لا يصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى
بن اسحق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة
من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن فلا وحديث
واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة
لتتحقق صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك
ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر

هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك
وفي حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاء
جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به
فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي
صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من شواهق الجبال
لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر
رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه
كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفاً ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد
بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن
يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه
جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب

تخبر

النبي

منه فخشي أن يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم
يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه
السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب • وقول الله
في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع
في رحمة الله وأن لا تضيق عليه مسالكه في خروجه وقيل حسن ظنه
بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة • وقيل نقدر عليه ما أصابه • وقد
قرئ نقدر عليه بالتشديد • وقيل يؤاخذه بغضبه وذهابه • وقال ابن
زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن
نبي أن يجهل صفة من صفات ربه • وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف
بالأنبياء وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره
الله به على لسان نبي آخر • فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا • وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس
ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين • وأرسلناه ويستدل
أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين • فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما

معنى قوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة
وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا
الغين وسوسة أو ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها
وقال غيره الغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس • وكذلك لا يفهم من
الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين مرة في اليوم
إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإن ما هذا عدد
الاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاسات البشر وسياسة الأمة •
ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء
أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة
وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو
همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه
رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث
وأشهرها وإلى معنا ما أشرنا به مال الكثير من الناس وحام حوله

[هامش: ضيق — صح]
[هامش: في اليوم]
[هامش: للاستغفار]
[هامش: إليه]

المجيا الوجه

فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو
مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي • وذهبت طايفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفه
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم
فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته
عليهم ويستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هاهنا على قلبه بالسكينة
التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار • وقال ابن عطا
استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار • قال
غيره وليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن • وقد يحتمل
ان يكون هذه الاغانه حالة خشية واعظام يغشي قلبه فيستغفر
حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العباده
افلا اكون عبدا شكورا • وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض
طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى
لمحمد عليه السلام ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين • وقوله لنوح عليه السلام فلا تسالن ما ليس لك به علم اني
اعظك ان تكون من الجاهلين • فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول

من قال في اية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو
شا لجمعهم على الهدى • وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن
يجهل ان الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل لصفة
من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيا والمقصود وعظهم ان لا
يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في
اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها
وكيف واية نوح قبلها فلا تسالن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن فقد يجوز اباحة السوال
فيه ابتدا فنهاه الله عن ان يساله ما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح • حكى معناه مكي كذلك امر نبينا
في اية اخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة
محمد فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي • وقال مثله في
القران كثير • فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبيا منه بعد النبوة
قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شي
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله
وتحذيره منه كقوله لين اشركت ليحبطن عملك الاية • وقوله ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية • وقوله اذا لاذقناك ضعف

الحيوة الآيه وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم علي قلبك
وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكفرين
والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه
ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول علي الله ما لا يحب
او يفتري عليه او يضل او يختم علي قلبه او يطيع الكفرين لكن الله يسر امره
بالمكاشفه والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوي قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس كما قال لموسي وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ
واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما
قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآيه وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحيوه فمعناه ان هذا جزا من فعل هذا وجزاوك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآيه
وقوله فان يشا الله يختم علي قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك
وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلي الله
عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكفرين فليس
فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشا ويامره بما يشا كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الآيه وما كان طردهم عليه السلام ولا كان

٢٨

من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوه فللناس
فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوه من الجهل بالله
وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والآثار عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصه منذ ولدوا ونشاتهم
علي التوحيد والايمان بل علي اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعاده كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا
هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم
بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
بكل ما افترته وعير كفار الامم انبيائها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواه ولم نجد في شي من ذلك تعييرا
لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع
في الحجه من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباوهم من
قبل ففي اطباقهم علي الاعراض عنه دليل علي انهم لم يجدوا سبيلا
اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبله
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد
استدل القاضي القشيري علي تنزيههم عن هذا بقوله تعالي واذ

آخر الجزء التاسع عشر من ثلثين جزء

تعيير الواحد

ولما

أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية ۞ وبقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه ۞ قال فطهره الله في الميثاق وبعيدا أن
ما خذ منه الميثاق قبل خلقه ثم أخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه
إلا ملحد هذا معنى كلامه فكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل
وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة ۞ وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدا
ولا تشبه عليك بقول إبرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي
فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف ۞ وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم ۞ وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد أهذا ربي ۞ قال
الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركاي أي عندكم
ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين ۞
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ۞ ثم قال أفرأيتم ما
كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ۞
وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك ۞ وقوله واجنبني وبني أن
نعبد الأصنام ۞ فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن
من القوم الضالين ۞ قيل إنه لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالتكم

وعبادتكم

وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من
الضلال ۞ فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظه
العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد
تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ۞
ومثله قول الشاعر فعادا بعد أبوالا ۞ وما كانا قبل ذلك ۞ فإن قلت فما
معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري ۞ وقيل وجدك بين
أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه
عن السدي وغير واحد ۞ وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها
فهداك إليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو
بغار حراء في طلب ما يوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
إلى الإسلام ۞ قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك
إليه ۞ وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال
ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية ۞ وقيل هدى أي بين أمرك
بالبراهين ۞ وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا ۞ وعن جعفر بن محمد

كذلك
كذلك

ووجدك ضالا عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك
بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضالٌ فهدى أي اهتدى بك
وقال ابن عطا ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال
إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين
إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله إنا لنراها في
ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما
أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل
ووجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك الله فهدى بك السعدا
ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى حكاية عنه فعلتها إذا
وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله
ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما
فإن قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن
تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر
القاضي نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام
قال وكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن
يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وهو أحسن وجوهه فإن قلت فما

معنى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم أنه ليس معنا
قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى أبو عبيد والهروي أن معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك الحديث
الذي يرويه عثمن بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم خلفه فقال الآخر كيف
أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
أنكره ابن حنبل جدا وقال هذا موضوع أو شبيه بالموضوع وقال
الدارقطني يقال أن عثمن وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير
متفق على إسناده فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله
عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله
في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور
بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع
مرعوبا فقال كلما دنوت من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح
بي وراك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه
بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي فرأى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما
فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني

عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك • وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في
وقوفهم بمزدلفه في الحج فكان يقف هو بعرفه لأنه كان موقف
إبرهيم عليه السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد بان بما قدمناه عقود الانبيآ في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم
في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها
انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفه والعلم
بأمور الدين والدنيا ما لا شي فوقه ومن طالع الاخبار واعتنا بالحديث
وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم
في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه الا
أن احوالهم في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط
في حق الانبيآ العصمه من عدم معرفه الانبيا بعضها او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقه بالآخره
وانبائها وأمر الشريعه وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم
من أهل الدنيا والذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخره
هم غافلون • كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شا الله ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيا من أمر الدنيا فإن ذلك يودي إلى الغفله والبله •
وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا إلى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور

الدنيا بالكليه وأحوال الانبيا وسيرهم في هذا الباب معلومه ومعرفتهم
بذلك كله مشهوره • وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح
من النبي الا العلم به • ولا يجوز عليه جهله جمله لأنه لا يخلوا ان يكون
حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما
لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على
قول المحققين • وعلى مقتضى حديث أم سلمه اني انما اقضي بينكم برأيي
فيما لم ينزل علي فيه شي خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والاذن
للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده من ما يثمره اجتهاده
الا حقا • وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه
ممن أجاز عليه الخطا في الاجتهاد ان لو قال لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق
في طرف واحد لعصمه النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في
الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شي ولم يشرع له قبل وهذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فأما ما
لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعيه فقد كان لا يعلم منها أولا
الا ما علمه الله شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله أو
إذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله • وقد كان ينتظر الوحي في

استفرغ

كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل
وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه • وأما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى
وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما
كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه
لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه
لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر
على قلب بشر ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين • وقول موسى
لخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا • وقوله صلى الله عليه
وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم • وقوله أسألك
بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك • وقد
قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم • قال زيد بن أسلم وغيره حتى
ينتهي العلم إلى الله وهذا مما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها
ولا منتهى لها هذا حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والأمور الدينية فصل واعلم أن الأمة مجمعة
على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه

لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس • وقد أخبرنا القاضي
الحافظ أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الفضل بن خيرون العدل ثنا أبو بكر
البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا إسمعيل الصفار ثنا عباس
الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفين عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة
قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم
زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير • وعن عائشة بمعناه روي فأسلم
بضم الميم أي فأسلم أنا منه • وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر
إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث • ورواه بعضهم فاستسلم •
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا
أقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشيطان له في كل
موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا
من أعوانه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى
الله عليه وسلم وأسره • ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه عليه السلام
إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع
علي صلاتي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية

حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمن رب اغفر لي
وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا • وفي حديث أبي الدرداء عنه
عليه السلام أن عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه
له ثم أردت أخذه وذكر نحوه • وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان
أهل المدينة • وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة
نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه • ذكره في الموطا ولما لم يقدر على أذاه
بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الايتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى
في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم
الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل
هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه من ضره وشره • وقد قال عليه السلام
إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين
ولد فطعن في الحجاب • وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له
خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله
ليسلطه علي • فإن قيل فما معنى قول الله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله
وأعرض عن الجاهلين • ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب
يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا

الفساد

الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل
ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى
أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به
وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى
أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له
ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا • وكذلك لا
يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في أول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم
ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا
وعدلا • فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية • فاعلم أن للناس في
معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث وأولى
ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا التلاوة
وإلقاء الشيطان فيها شغله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى
يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين
من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم
آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله
تعالى • وقد حكى السمرقندي إنكار قول بتسلط الشيطان على ملك

ان كان

سلمن وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سلمن ميته
بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له • وقال ابو محمد
مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب •
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان
الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا
بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه
الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان
ذكر ربه • وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان • وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان • فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او
فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه روس الشياطين وقال
صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا
يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال
الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبي بعد موت موسى
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة
يوسف قد ذكرناه كانت قبل نبوته • وقد قال المفسرون في قوله
انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه

احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان
يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه
تسليط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور اخر • وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا • واما قوله عليه
السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته
له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم
ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل
بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة • واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة ترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم
فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل

واما اقواله عليه السلام فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه
من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا
وغلطا • اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القايمة
مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق الملة اجماعا • واما وقوعه
على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط • وورد الشرع بانتفا ذلك

تسلط صح

تسلط صح

الدلالة صح

وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر بن
الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا
نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
إجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة
والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه
العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال
نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله
الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت
المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا
وان المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني
وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما
نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح
ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو
جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة
مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق
فصل وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي

رسول الله

من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتها
لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق
العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان ألقاها على لسانه وان النبي صلى
الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه
وفي رواية أخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه
القصة وان جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ
الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية
وقوله وان كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض
اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلاة

ببعض بنقص

وأخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وأخر
يقول لو حدث نفسه فسها • وأخر يقول قالها وقد أصابته سنة وأخر
يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك • وأخر يقول بل أعلمهم الشيطا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة • ومن
حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة • قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا
ولم يسنده عن شعبة الا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن
جبير وانما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس • فقد
بين لك أبو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى
هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه • وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار اليه البزار رحمه الله
والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو

فيها

بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه
من طريق النقل • فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة • اما من تمنيه
ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل
عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك
النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما
يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله
لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه • وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية • وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام
لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التأليف والنظم • ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا ما لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه • ووجه ثالث انه قد علم من عادة

ذلك

المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في
قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة
شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة
في قصة الإسرى حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي
في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت • فما روي عن معاند فيها
كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة • فدل على بطلها واجتثاث
أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث
على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين • ووجه رابع
ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين • وهاتان
الآيتان تردان الخبر الذي رواه لأن الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وانه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف
كثيراً • وهم يروون في أخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم • وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل • وهذا
ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له • وهذا مثل

قوله في الآية الأخرى • ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء • وقد
روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون • قال
الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها
ولم يفعل • قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر
بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل وما كان
ليفعل • وقال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن • وقد ذكرت في
معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى
الله عليه وسلم ترد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله امتن على
رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك تنزهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية • وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح • وقد
أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك
أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين • فمنها ما روى قتادة ومقاتل
أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءة هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على
النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي
الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع
العمد والسهو • وفي قول الكلبي إن النبي صلى الله عليه وسلم

حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه • وفي رواية ابن شهاب
عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك
من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا
قصدا ولا تقوله الشيطان على لسانه • وقيل لعل النبي صلى الله عليه
وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبرهيم
هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته • وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي
أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلوة فقد كان
الكلام قبل فيها غير ممنوع • والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده
وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا • ويفصل الآي تفصيلا في قراءته
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي
في ذم الأوثان وعيبها على ما عرف منه • وقد حكى موسى بن عقبة
في مغازيه نحو هذا • وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان

وهذا

النبي

ذلك في أسماع المشركين وملائهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة • وقد
قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى
تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة • وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته •
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذ قرأ
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية • أنه حدث
نفسه وقال إذا تمنى أي حدث نفسه • وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل
الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة
ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما
سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في
تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلا فإن سلمنا القصة
قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا • والمراد بالغرانقة العلا وإن شفاعتهن
لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة وأنها
الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات
الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر
وله الأنثى • فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة
صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم

عنهم

الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه إليهم • نسخ الله ما ألقى الشيطان
وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بهما
سبيلا للتلبيس كما نسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في إنزال الله تعالى لذلك حكمة • وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين • وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد •
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الآية • وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله
عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم • وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون • ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم
عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من قبلك
الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر
الآية • ومن ذلك ما روي في قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه
العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم
كذابا أبدا فذهب مغاضبا • فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من

الأخبار

الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله مهلكهم وإنما
فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما
قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم • قال الله تعالى إلا قوم يونس لما
آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية • وروي في الأخبار أنهم رأوا
دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود • قال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر • فإن قلت فما معنى ما روي من أن
عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان
يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب • وفي
حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما • فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت • وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري
محمد إلا ما كتبت له • فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا • أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا
نقبل رواية المسلم المتهم • فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله
ما هو أعظم من هذا • والعجب لسليم القلب يشغل بمثل هذه الحكاية سره •

وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفترٍ على الله ورسوله ولم يرد
عن أحد من المسلمين ● ولا ذكر احد من الصحابه انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك
هم الكاذبون ● ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر
من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم كذلك فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي
وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة
الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ● وكذلك قوله عليه
السلام ان صح كلٌّ صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي
وجهان ● وقرئ بهما انزلا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الأخرى ●
فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى
الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك
في بعض مقاطع الآي مثل قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

عليه ورواه حميد عن انس قال والظن حميد انه سمع من ثابت قال
فيه عن انس قول شي من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد

فإنك أنت العزيز الحكيم ● وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك
أنت الغفور الرحيم ● وليست في المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في غير المقاطع قرأهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل
وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقض الحق ويقص الحق وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد
قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف يشاء ● فصل
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار
التي لا مستند لها الى الأحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه ●
وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع
احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه
لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ● ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم ● واحتج
عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر ●

فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وأيضا
فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنًى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد
في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في
شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
ورجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا
خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله والله إني لا
أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت
عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير
حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب
والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها وأيضا فإن الكذب متى
عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا
ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية
والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه
عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن
عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده

منها

إذ

إذ عمدة النبوة البلاغ والبيان والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك
فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في
قول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من
تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم
وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم
وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم
بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها
من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم
منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول
الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه فصل فإن قلت فما
معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو
إسحق إبرهيم بن جعفر ثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد
ثنا أبو عبد الله بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود
بن الحصين عن أبي سفين مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلوة أم نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى

القول

يتسمح

عرفوا

ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها
لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا
اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ
وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب مانع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في
مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس
ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة
ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما
على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر عنه صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس
في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وانه لم ينطق به وهذا صدق
ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا
وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه
بعد ووجه ثالث وهذا ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله
اللفظ من قوله وكل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل

كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة
وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايته فيه لائمتنا وكل
من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب
من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن
نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا
ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى
ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها
كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شي من ذلك
فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله
على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم
ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض
المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت
ولا نسيت خلف في قول واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام
المذكورة في الحديث انها كذباته الثلث المنصوصة في القران منها اثنان

ثاني

ولكن

قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا ● وقوله للملك عن زوجته انها
اختي فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا في
القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب ● أما قوله إني سقيم ● فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي
أن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى
عيدهم بهذا ● وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت ● وقيل سقيم القلب
بما شاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع
نجم معلوم ● فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق ● وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما
أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره
في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه
لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم
وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ● ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله
وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا
بيانه ● وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه
كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق أيضا ولا خلف فيه ● وأما قوله أختي فقد بين في الحديث ● وقال
إنك أختي في الإسلام وهو صدق ● والله تعالى يقول إنما المؤمنون
إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات ● وقال

لم يكذب إبرهيم إلا ثلث كذبات ● وقال في حديث الشفاعة ويذكر
كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن
كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات ● ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها أشفق إبرهيم عليه السلام بمؤاخذته بها ● وأما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول
إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول
تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن
والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف ● فإن قلت فما معنى قول موسى عليه
السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه ذلك إذ لم
يرد العلم إليه الحديث ● وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك ●
وهذا خبر قد أنبأ الله أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة ● وعلى
الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في
النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه ● وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف
النبوة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة ● ويكون الخضر
أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه ●

كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى عليه السلام أعلم على الجملة
مما تقدم وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من
لدنا علما • وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لأنه
لم يرد العلم إليه كما قالت الملئكة لا علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض
قوله شرعا والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية
نفسه وعلو درجته من أمته فهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب • والتعاطي والدعوى وان نزه عن
هذه الرذائل الأنبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام محفظا من مثل
هذا من ما قد علم به أنا سيد ولد ادم ولا فخر • وهذا الحديث إحدى حجج القائلين
بنبوة الخضر عليه السلام لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون الولي أعلم
من النبي • وأما الانبيا فمتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن
أمري فدل على أنه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله
بأمر نبي آخر • وهذا يضعف لأنه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه
السلام نبي غيره إلا أخاه هرون • وما نقل أحد من أهل الأخبار في
ذلك شيا يعول عليه • وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على
الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج إلى اثبات نبوة خضر • ولهذا قال
بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله والخضر أعلم
فيما دفع إليه من موسى • وقال آخر إنما ألجي موسى إلى الخضر للتأديب

لا للتعليم **فصل** وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال فلا تخرج من
جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا
الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد • وما قدمناه من معارفه المختصة
به فأجمع المسلمون على عصمة الأنبيا من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه • وهو
مذهب القاضي أبي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع •
وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو اسحق • وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن كل
ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة
وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب
أبي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين • وسنورد
بعد هذا ما احتجوا به • وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا العقل
لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين • وذهبت
طائفة أخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين إلى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في
الصغائر وتعيينها من الكبائر وأشكال ذلك • وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة إلى ما هو أكبر منه • ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه
كبيرة قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال في معاصي

الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون
لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشيه
في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابو بكر وجماعة ايمة
الاشعريه وكثير من الفقها وقال بعض ايمتنا ولا يجب على القولين
أن يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك
بالكباير ولا في صغيرة أدّت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة
واوجبت الازرا والخساسه فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا
لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فأدّى الى مثله لخروجه بما ادّى اليه عن اسم المباح الى الحصر وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من واقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصار الى امتثال افعالهم
واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب
مالك والشافعي وابي حنيفه من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن
مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر
اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن
خيران من الشافعيه واكثر الشافعيه على ان ذلك ندب وذهبت
طايفه الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينيه

وعلم به مقصد القربه ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو
جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة والاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يومر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد
هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه
السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى
راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون
هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا
المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر
او الندب على الاقتدا بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه
وايضا فقد علم من دين الصحابه قطعا الاقتدا بافعال النبي صلى الله
عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم
برويه ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا
خبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل

هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال والله إني لأخشاكم لله
وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من
مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما أنكر عليه السلام على الآخر قوله واعتناره [واعتقاده] بما ذكرناه وأما
المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما حصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من علق الهمم بالله والدار
الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذا
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بيّنا منه أول الكتاب طرفا
ومن خصال نبينا عليه السلام فإن لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى
سائر الأنبيا عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيده
عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح إن
شا الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
فكيف والمسالة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد
تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل أن يوحي
إليه هل كان متبعا الشرع قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء

يتقون
هذه

وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في
حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدي فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم
بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك
لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى من
اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه
ولم يوثر شي من ذلك جملة وذهبت طايفة إلا أن امتناع ذلك عقلا
قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على
التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واسناد ذلك إلى النقل
كما تقدم للقاضي أبو بكر أولى وأظهر وقالت فرقة أخرى بالوقف
في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك إذ لم يحل
الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل
وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع
من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم
على تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل إبرهيم وقيل موسى وقيل
عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسلة والأظهر
فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو

كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف حمله ولا حجة لهم في ان
عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام
ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا • وللاخرين
في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده • وقد سمى الله
تعالى منهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول • وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في
هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما
اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا او يخالفون بينهم اما من
منع الاتباع عقلا فطرد اصله في كل رسول بلا مرية • واما من مال
الى النقل فا نصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله •
ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل**
هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى
معصية ويدخل تحت التكليف • واما ما يكون بغير قصد وتعمد
كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق
الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة
به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سوا ثم ذلك على نوعين

صلى الله عليه وسلم

لازمه

وبكونه

ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة
بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه •
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول
في هذا الباب • وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا وكذلك قالوا
الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب
التشكيك وتسبب المطاعن • واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق • وذهب الاكثر
من الفقها والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية • سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث
السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة
على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها • واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب
من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون •
فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هاهنا في حقه عليه السلام •
سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن • وهذه الحالة زيادة له
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعتراض

صلى الله عليه وسلم

الطعن فإن القايلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر علي
السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور علي قول بعضهم
وهو الصحيح وقيل انقراضهم علي قول الأخرين وأما ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الأحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به
من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات
علما الأمة علي جواز السهو والغلط فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه
وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الأمة ومعانات

(مما)

الأهل وملاحظة الأعدا ولكن ليس علي سبيل التكرار ولا الاتصال
بل علي سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان علي قلبي فاستغفر
الله وليس في هذا شي يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طايفة إلي منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه

(صلى الله عليه وسلم)

السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب
المقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شا الله
تعالي فصل في الكلام علي الأحاديث المذكور فيها السهو منه عليه
السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه
السلام وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية
قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية علي الوجه الذي رتبناه وأشرنا
إلي ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث

(روى)

الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة ثلاثة احاديث أولها حديث

ذي

ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث بن بحينة في القيام من
اثنتين الثالث حديث بن مسعود أن النبي صلي الله عليه وسلم صلي الظهر
خمسا وهذه الأحاديث مبنية علي السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة

(ليستن)

الله فيه ليبين به إذ البلاغ بالفعل أجلي منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه انه لا يقر علي هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر
فايدة الحكمة فيه كما قدمناه أن النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه
السلام انما أنا بشر انسا كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال
رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن

(صلى الله عليه وسلم)

وقال عليه السلام اني لا أنسا أو أنسي لاسن قيل هذا اللفظ شك من
الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن أنسى لاسن وذهب بن نافع
وعيسى بن دينار انه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي انسا أنا أو
ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد

(فالوم)

اني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى علي سبيل عادة البشر
من الذهول عن الشي والسهو أو أنسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فأضاف
أحد النسيانين إلي نفسه إذ كان له بعض التسبب فيه ونفي الآخر عن
نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طايفة من أصحاب المعاني والكلام
علي الحديث إلي أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا
ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلي الله عليه وسلم

منزه عنها والسهو شغل وكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها واحتج
بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى ولكني أُنسّى ۞ وذهبت طائفة
إلى منع هذا كله عنه ۞ وقالوا أن سهوه عليه السلام كان عمداً وقصداً
ليسنّ وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه
كيف يكون متعمداً ساهياً في حال ولا حجة لهم في قولهم أنه أمر بتعمد
صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أُنسّى لأسنّ ۞ وقد ثبت
أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد ۞ وقال إنما أنا بشر مثلكم
أنسى كما تنسون ۞ وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أيمتنا
وهو أبو مظفر الأسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا
حجة لهاتين الطائفتين ۞ في قوله إني لا أنسى ولكن أُنسّى إذ ليس فيه
نفي حكم النسيان بالجملة وإنما فيه لفظه وكراهة لقبه ۞ كقوله بئسما
لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نُسّي أو نفي الغفلة وقلة
الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه ولكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها ۞ وشغل
بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة ۞ وقيل أن الذي
ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشا ۞ وبه
احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من
أدائها إلى وقت الأمن ۞ وهو مذهب الشاميين ۞ والصحيح أن

لها

حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فإن قلت فما تقول في
نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي فقد قال أن عيني تنامان ولا
ينام قلبي فاعلم أن للعلماء في ذلك أجوبة منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه
عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من
غيره خلاف عادته ۞ ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث
نفسه أن الله قبض أرواحنا ۞ وقول بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها قط
ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده الله من إثبات حكم وتأسيس
سنة وإظهار شرع ۞ وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا
ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروساً وأنه كان ينام
حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ ۞ وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل
أو لحدث آخر ۞ فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت
غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ ۞ وقيل لا ينام قلبه من أجل
أنه يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب ۞ وقد قال عليه السلام أن الله
قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا ۞ فإن قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب

عن

انه كان من شانه عليه السلام الغلس بالصبح ومراعاة اول الفجر
لا يصح ممن نامت عيناه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل
بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته • فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت
وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا
تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول
على ما نسخ فعله هذا لم يكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما
يشا ويثبت • وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال
فيه انسى • وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب • ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز
لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه
الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر بلاغه وتوصيله الى عباده ثم
يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وترك استذكاره • وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا سبيله كره • ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا
يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره
اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه
فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما

احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا من الفقها
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القران • والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف
وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه • وجات اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم
يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره • وجب تركه والمصير الى ما
صح • وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله • فمن ذلك قوله تعالى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر •
وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات • وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك • وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم • وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم • وقوله عبس وتولى
ان جاه الاعمى الاية • وما قص من قصص غيره من الانبيا كقوله وعصى
ادم ربه فغوى • وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا الاية • وقوله
عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية • وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين • وما ذكره من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله ماب • وقوله ولقد همت
به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته • وقوله عن موسى فوكزه موسى •

حفظه

ينسى

في هذا

فقضا عليه قال هذا من عمل الشيطان • وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت • ونحوه من ادعيته عليه السلام • وذكر الأنبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة • وقوله انه ليغان على قلبي فأستغفر الله
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه
في اليوم أكثر من سبعين مرة • وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي
وترحمني الآية • وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون • وقال عن ابرهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم
الدين • وقوله عن موسى تبت إليك • وقوله ولقد فتنا سليمن إلى ما
أشبه هذه الظواهر • فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر • فهذا قد اختلف فيه المفسرون • فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها • وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه
انه مغفور له • وقيل ما كان قبل النبوة والتأخر عصمتك بعدها
حكاه أحمد بن نصر • وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام • وقيل
المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري • واختاره القشيري
وقيل المراد ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء • ومثله والذي قبله يتأول قوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • وقال مكي مخاطبة النبي صلى
الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته • وقيل ان النبي صلى الله

عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الآية • وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد
الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
ها هنا تبرئة من العيوب • وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة • وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا
ذلك لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي • وقيل المراد بذلك ما
أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي • وقيل
حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي • وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى أنقض أي كاد ينقضه • فيكون المعنى على من جعل ذلك لما
قبل النبوة • واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع
عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره • أو
يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية •
وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه • وأما قوله عفا الله
عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله

ظهرك ح لعله

تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده أهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء
فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فأذن لمن شئت
منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن
لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري وقال
وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
أنها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك
وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر
ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام
أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت

الخطاب

حين

حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا
كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل
معناها لولا أنه سبق مني أني لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا
ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم
بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على
الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله
ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد
خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه
السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في
الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفدى على أن يقتل عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما
أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح
غيره في الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى هذا أشار
الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب

بالقرآن

ولكن

القصة

ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه • ورأي من أخذ
بما اخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وأبادة عدوه وان هذه القضيه
لو استوجبت عذابا نجا منه عمر • ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار
بقتلهم • ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق •
وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت • ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي
صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر
إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك • وقال القاضي بكر بن العلا أخبر
الله نبيه في هذه الآيه ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفدا
وقد كان قبل هذا فادوا في سريه عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن
الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم • وذلك
قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله
عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة • وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر
وكثرة اسراها والله أعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه
في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
وتثريب هذا معنى كلامه • واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه
اثبات ذنب له عليه السلام • بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن
لا يتزكى • وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين
الاقبال على الأعمى • وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه

ذلك

لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا كما شرعه
الله له ولا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال
الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه
بقوله وما عليك الا يزكى • وقيل أراد بعبس وتولى الكافر الذي
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام • أما قصة آدم عليه السلام
وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة وتصريحه
تعالى بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى • اي جهل وقيل اخطا
فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما • قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه
من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآيه • قيل نسي ذلك بما
اظهر لهما • وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه
فنسي • وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها • ولكنهما اغترا بحلف
ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين • وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
حانثا • وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار • وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع • وقد قيل نسي ولم ينو
المخالفة فلذلك • قال ولم نجد له عزما • اي قصدا للمخالفة • واكثر
المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر • وقيل كان عند أكله
سكران • وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر
فاذا كان ناسيا لم يكن معصية • وكذلك اذا كان ملبسا عليه

غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف
وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره انه يمكن أن يكون ذلك قبل
النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتبا والهدايه كانا بعد العصيان
وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لانه
تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت
التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه
عنها نهي تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم
ربه فغوى وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة
ويذكر ذنبه واني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل إن شا الله تعالى
وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في
قصة يونس نص على ذنب وانما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه
وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب
أبدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن
حمل أعبا الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا قول مرغوب عنه وقوله أبق الى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله اني كنت من الظالمين

فالظلم وضع الشي في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه أو لضعفه عما
حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يواخذ
وقال الواسطي في ما معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم الى
نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا ربنا ظلمنا أنفسنا
إذ كانا السبب في وضعهما في غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما
من الجنه وانزالهما الى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب
أن يلتفت الى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شي من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود أنما
فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنا فتناه أي اختبرناه
وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن
مسعود ما زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها
فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا
الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته
وقيل بل أحب بقلبه أن تستشهد وحكى السمرقندي أن ذنبه
الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه والى نفي ما أضيف في الأخبار الى داود من ذلك ذهب
احمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي

معناه

وضعهما

وقيل إنما خشيه على نفسه ولكن من الفتنه بما بسطه له من الملك في الدنيا.

ليس في قصة داود واوريا خبر ثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على
ظاهر الآية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف فيها تعقب
واما اخوته فلم تثبت نبوتهم ولزم الكلام على افعالهم وذكر
الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبيا قال المفسرون يريد
من نبي من ابنا الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما
فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا بيوسف حين اجتمعوا به
ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم واما قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين ان هم النفس لا
يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي
بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على
مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه
النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو
المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا
ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون
ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل
وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم
وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان

راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المراة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا
وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن
مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها
وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه
هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى
مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من
القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه
قبل نبوة موسى قال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا
لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة
وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلا
بعد ابتلا قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن
جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل

الفتنة معنا الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع
في اختبار ادا الي ما يكره ۞ وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من
ان ملك الموت جاه فلطم عينه ففقاها ۞ الحديث ليس فيه ما يحكم علي
موسي عليه السلام بالتعدي وفعل ما لم يجب له اذ هو ظاهر الامر بين
الوجه جائز الفعل لان موسي دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور
له في صورة ادمي ۞ ولا يمكن حينيذ علم انه ملك الموت فدافعه عن
نفسه مدافعة ادت الي ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها
الملك امتحانا من الله ۞ فلما جاه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم
وللمتقدمين والمتاخرين علي هذا الحديث اجوبة هذا اشدها عندي
وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري ۞ وقد تاوله قديما ابن
عايشة وغيره علي صكه ولطمه بالحجة وفقا عين حجته ۞ وهو كلام
مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمن وما
حكي فيها اهل التفسير من ذنبه ۞ وقوله ولقد فتنا سليمن فمعناه
ابتليناه وابتلاوه بما حكي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لاطوفن
الليلة علي مايه امراه او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد
في سبيل الله ۞ فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا
امراة واحدة جات بشق رجل قال النبي صلي الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله ۞ قال اصحاب
المعاني والشق هو الجسد الذي القي علي كرسيه حين عرض عليه

وهي

وهي عقوبته ومحنته ۞ وقيل بل مات فالقي علي كرسيه ميتا ۞ وقيل ذنبه
حرصه علي ذلك وتمنيه ۞ وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني ۞ وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب
بقلبه ان يكون الحق لاختانه علي خصمهم ۞ وقيل اخذ بذنب قارفه
بعض نسايه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به
وتسلطه علي ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا
يسلطون علي مثل هذا ۞ وقد عصم الانبيا من مثله وان سيل لم لم
يقل سليمن في القصة المذكورة ان شا الله فعنه اجوبة احدها ما روي
في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالي ۞
الثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه ۞ وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي لم يفعل هذا سليمن غيرة علي الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك علي ما ذكره المفسرون الا يسلط عليه احد كما سلط
عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه علي قول من قال ذلك وقيل
بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه ۞ وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة علي نبوته كالانة الحديد لابيه واحيا الموتي لعيسي واختصاص
محمد صلي الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه
السلام فظاهره العذر وانه اخذ فيها بتاويل وظاهر اللفظ بقوله
تعالي واهلك فطلب مقتضي هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك

اوحد

فان

لقوله

لا انه شك ما في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من أهله الذين وعدهم
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه الله أنه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأخذ بهذا التأويل وعتب عليه
وأشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية
غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوا ما ذكرناه من
تأويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي
في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله
إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث
ما يقتضي ان هذا النبي أتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل
من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله الا ترى أن هذا النبي كان
نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذا
عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى
احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين إذ ظاهر فعله انما كان لأجل انها أذته هو في
خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما
أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه فإن قيل فما معنى
قوله عليه السلام ما من أحد الا ألم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا

أو كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الأنبيا
التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة والله أعلم فصل فإن قلت
فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من
اعتراف الأنبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما
سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء
فاعلم وفقنا الله وإياك ان درجة الأنبيا في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على
الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم
وانهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم اوخذوا عليها
وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة بها او أتوها على وجه التأويل
او السهو او تزيد من أمور الدنيا المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب
بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم
لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب ماخوذ من الشي الدني
الرذل ومنه ذنب كل شي آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن
هذه أدنا أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلا

فيه

وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة
إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات
الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظ كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله
غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل
أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل أنسي يوسف ذكر ربه وقيل أنسي صاحبه أن يذكره
لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما
لبث في السجن ما لبث قال بن دينار لما قال ذلك يوسف قيل
له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى
قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبيا بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما
أتوا به من سوء الأدب وقد قال للفرقة الأولى على سياق ما
قلناه وإذا كان الأنبيا يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم
من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا
أسوأ حالا من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا

على

على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا
ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك
إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وإنابته فسخرنا
له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء
في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو ما
قدمناه وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا
الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال بن عطاء لم يكن ما نص الله
من قصة صاحب الحوت نقص له ولكن استزاده من نبينا عليه
السلام وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبيا من
الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على
هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبيا وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى

نحوهما

الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبيا على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله تعالى على نعمه كما
قال عليه السلام وقد أمن من المواخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون
عبداً شكوراً وقال أني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن
أسد خوف الملايكة والأنبيا خوف اعظام وتعبد لله لأنهم امنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم وليستن بهم أممهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وأيضاً فإن في التوبة
والاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلما وهو استدعي محبة
الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحدا
الرسل والأنبيا الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين
استدعا المحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه بعد أن عفا الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان تواباً فصل قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته أو كونه
على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً واجماعاً
وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشي مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه
من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته من عن الكذب وخلف
القول منذ نباه الله وأرسله قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليه

شرعاً واجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه
عن الكباير اجماعاً وعن الصغاير تحقيقاً وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه
وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن أن
يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف
إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار
إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه السلام على الرجلين الذين رآياه ليلاً وهو معتكف في
المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً
فتهلكا هذه أكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شياً منها يرى أن الكلام
فيها جملة من فضول العلم وان السكوت أولى وقد استبان لك
انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها في أصول
الفقه ويبنا عليها مسايل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقها في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم

وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم ولا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام

فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار بأن لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن للكلام في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الأقوال والأفعال وهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم إياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات

والتفسير

المفسرين

القياس

إن شا الله فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو انسيان وهل هما المراد بالملكين أم لا وهل القراه ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبه فأكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم إنذار اي يقولان لمن جا يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا كذا فانه سحر فلا تكفروا ففعل هذا فعل طاعه وتصرفهما فيما امروا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى بن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطه ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلا وكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكوره في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافيه وهو قول بن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمن فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراه عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراه بكسر اللام شاذه فيحمل الآيه على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملايكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملايكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتاده وبن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملايكة في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى وما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملايكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا وحرقوا

تعلموا كذا صح

هما

فيحمل

سائغ جائز

ثم آخرون كذلك حتى تجد له من ذكر الله إلا إبليس في أخبار
لا أصل لها ترد ها صحاح الأخبار فلا نشتغل بها والله أعلم. الباب
الثاني فيما يخصهم في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض
البشرية. قد قدمنا أنه عليه السلام وسائر الأنبياء والرسل من
البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات
والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على
البشر. وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا
بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه. وقد كتب الله
على أهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون.
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
وأصابه الحر والقر. وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر ونال الإعياء والتعب. ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم. وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الأعلى. وتخلص من دار الامتحان والبلوى. وهذه
سمات البشر التي لا محيص عنها. وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منها
فقتلوا قتلا ورموا في النار. ونشروا بالمناشير. ومنهم من وقاه الله ذلك
في بعض الأوقات. ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس
فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد. ولا حجبه عن عيون عداه

عند دعوته الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور
وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم
يقه من سحر ابن الأعصم. فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا
سائر أنبيائه مبتلى ومعافى. وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين أمرهم. ويتم كلمته فيهم. وليحقق بامتحانهم
بشريتهم. ويرفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما ظهر
من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنتهم
تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم
قال المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص
بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم
لمشاكلة الجنس. وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه
متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم. قال
وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي. وقال إني لست
كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني. وقال لست أنسى ولكن
أنسى ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا تحل
منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن. لأن غيره
إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه. وهو عليه السلام في نومه حاضر
القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان

وتوقع

محروسًا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكر
وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملتهم وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك
وأنه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام كما حدثنا
الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي
بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن
إسماعيل نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما
فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء
ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى
التشكيك في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي عما
يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل

يجوز

يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد
أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه
داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل
والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر
دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر وغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة
له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا
أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في
ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعل ولم يفعله وإنما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من
الأجوبة على هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في
الحديث تأويل أجلى وأبعد عن مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من
نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن
المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البير • وذكر بن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر قال
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشه سنة فبينا هو كذلك
نايم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
الحديث • قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشه
خاصة سنه حتى انكر بصره • فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده
وعقله • وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسايه وطعامه واضعف
جسمه وامراضه • وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النسا والطعام والشراب • فهبط
عليه ملكان • وذكر القصه • ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي
اهله ولا ياتيهن • اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على
النسا فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ واعترض • ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله
وهذا اشد ما يكون من السحر • ويكون قول عايشه في الروايه الاخرى
انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره • ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه
من بصره وضعف نظره لا لشي طرا عليه في ميزه • واذا كان

هذا

فيما ذكر من حاله

هذا لم يكن في اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل عليه لبسا ولا يجد
به الملحد المعترض انسا. **فصل** هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور
الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل • اما العقد
منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشي على وجه ويظهر خلافه او يكون منه
على شك او ظن بخلاف امور الشرع • كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاص
وغير واحد سماعا وقراه قالوا نا ابو العباس احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي
نا ابو احمد بن عمرويه نا ابن سفين نا مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة نا ابو النجاشي
نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشي من
دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشي من راي فانما انا بشر مثلكم • وفي حديث
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن
وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي
فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه او سنة سنها • وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما
نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب ابن المنذر هذا منزل انزلكه الله ليس لنا

لمن يكن في اصابه السحر
هذا
فنقصت
روايه

ان سقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ما من القوم فننزله ثم نغور ما وراه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الامر واراد مصالحة عدو بعض عدوه على ثلث ثمر المدينه فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصه ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل بها نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينيه والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشي فلا ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه

ابو

ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير انا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمه عن ام سلمه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شا لاطلعه على سراير عباده ومخبات ضماير امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويوثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شي من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضيه بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا مما لا تعلمه الامه فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتدا امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه وياتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول فكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فايدة لموجبات

التشاجر والخصام وليعتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يوثر
عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر
به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
منه بما يشا ويستاثر بما يشا ولا يقدح هذا في نبوته ولا ينفصم عرى من
عصمته فصل واما اقواله الدنيويه من اخبار عن احواله واحوال
غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل
حال وعلى اي وجه من عمدٍ او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها
منه في الامور الدنيويه لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا ياخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط امته
وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدًا في تحبيبهم ومسرة
نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن الناقة وكل
انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا
وهذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر
والنهي في الامور الدنيويه فلا يصح منه ايضًا ولا يجوز عليه ان يامر احدًا
بشي وينهى احدًا عن شي وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان
لنبي ان تكون له خاينة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما

معنى

معنى قوله تعالى اذ في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الايه فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدًا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن
علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه
زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به
من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى
نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان
الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لابد لك ان
تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبدِ من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه
عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصه ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال
الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان
على ما روى في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به
من مد عينيه الى ما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم
الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبيا قال القشيري

وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد
لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما
قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج في
ازواج ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة
في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه
ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها
ليباح مثل ذلك لامته كما قال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه
ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما
ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته عليه السلام من الناس كانت
من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين وقولهم تزوج زوجة
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم

بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له ها هنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه
فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله
وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض
ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه
السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال نا القاضي ابو الوليد
نا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن
ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر
اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من
يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول
ما قال عمر قال ايمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير

من عوارضها صح

معصوم من الامراض وما يكون منه من القول اثنا ذلك ما يطعن من
شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول
اثنا ذلك ما يطعن في معجزته ويودي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعديه هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال
لا نكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينه وكذا ضبطه الاصيلي
بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث
سفين وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
والتقدير اهجر او ان يحمل قول القايل هجر او اهجر دهشة من قايل ذلك
وحيرة من لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهو المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم
يضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز
عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث
ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبه فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده
صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جيتم باختلافكم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الها

الفحش

والامر

الفحش في المنطق وقد اختلف العلما في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد
امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى
الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين قوله فلعل قد ظهر
من قراين قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمه بل امر رده
الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه
اذ لم يكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر ثم هولا قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املا الكتاب
وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد
به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
وراى ان الارفق سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا
كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر
خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب ذلك الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعا الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب
لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس
لعلي رضي الله عنه انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر

وقيل انه كان من النبي عليه السلام لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه صح

فلعل

نكتب

فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله لا والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعولي
فان انا فيه خير اي ان الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله
وان تدعوني مما طالبتم وذكر ان الذي طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك
فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقراتي عليه نا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي
نا ابرهيم بن سفين نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
روايه ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل مسلم من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها
باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال
وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما
اقتضاه حال ظاهره ثم دعا له عليه السلام لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين
التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه وفعله
له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه

الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من كل مسلم وهذا معنى صحيح ولا
يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته او سبه وانه مما كان يحتمل
او يجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج
الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعايه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل
بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا
اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
في غير حديث انه عليه السلام حليم لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث
على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه
كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من
لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعايه ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون
ذلك سوالا منه لربه جل وعز لمن جلده او سبه على سبيل حق وبوجه صحيح ان يجعل
ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب
العفو والغفران كما جا في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب
فهو له كفارة فان قيل فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم
له حين خاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال

له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه ان يقع في نفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق
التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما قال استوفى النبي صلى
الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار
الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال
غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه
في حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جا في الحديث الصحيح وكذلك
الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل
وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري
اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله
يا عكاشه ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك

حاجتك

الفضيلة صح اصل

حاجتك وهو يابى فضربه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلث مرات
وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه
عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفي عنه ⊙ واما حديث
سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس
ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص
يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر راه به
ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب
التحلل منه على ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيويه
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه وفيها من جواز السهو
او الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا اذ كان عليه السلام
لا ياخذ منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته
التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين
الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او
يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله
منتظم في زاكي وظايف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيويه بحسب
اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار
وفي اسفاره الراحله وركب البغله في معارك الحرب دليلا على الثبات وركب

رسول الله

صلى الله عليه وسلم صح اصل

فاعل الله

للخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وساير
احواله بحسب احتمال مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور
الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى
غيره خيرا منه كما ترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور
الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه
كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم
للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر
لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء
استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره
ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما
يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه
وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويعجب
مما يعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان يكون

له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من
شرار الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد
مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يتألفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما
زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو
غير غيبة بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا
يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى
المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته
ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولا فقال لها عليه السلام
اشتريها واشترطي لهم الولا ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى
الله عليه وسلم قد امرها باشتراطه وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوا
من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام

يتألفهم

الغش ؟ اهد

وقد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولننزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولا اذ ليست في
اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله
تعالى اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولا لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من
شرط الولا لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي
لهم الولا ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا
ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولا لمن اعتق فكانه
قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداوودي
وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم
به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولا اي اظهري
لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولا انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام صلى الله
عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم
سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله
لقوله كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء
الله الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف

كان

كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا
من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة
عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عليه جواب لحل شبهة ولعل قايله ان حسن له التاويل كائنا من كان ظن
على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل
غير هذا ولا يلزم ان تقول الانبيا ما لم ياتوا قالوه حتى يطلب الخلاص منه
ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في
اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبيا عليهم السلام وما
الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلا وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا
الله واياك ان افعال الله كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته
يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة
في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعا والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويتقدوا بهم
في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين

لحل شبهة

دانيال الدال مهمله وفي ح معجمه

مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل رجزون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي
نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعيد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات
وعن ابي هريرة ما يزال البلا بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى
الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل
له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافى
به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه
وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاوه اشد كي يتبين
فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة
تختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى ان ابتلا ابي يعقوب
بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل
بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم
جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكايه حذار ولا علم عند
يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكا اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي

على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة
التي نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلا ايوب انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه
فعاقبه الله ببلايه ومحنة سليمن لما ذكرناه من نيته في كون الحق
في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة
المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه
وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك
كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا معشر الانبيا يضاعف لنا البلا ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله
وان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخا وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزا مع عظم البلا وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال المفسرون
في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة
وروي هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه

وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه
خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى ودعها الله في الامراض الاجسام
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم ويخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض
وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاه واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل
المومن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا هكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث
اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت عدلت وكذلك المومن يكفا بالبلا ومثل الكافر
كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المومن مرزا مصاب
بالبلا والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله مطاع لذلك لين الجانب برضاه
وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للريح وتمايلها لهبوبها وترنحها
من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه
منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له
فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او
شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصما
حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق
فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا

والعذاب

وَلَعَذَابُ الآخرة أَشَدُّ كَانجعافِ الأَرْزَة وكما قال تعالى فاخذناهم
بغتةً وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى
وكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت
الفجاة ومنه حديث ابرهيم كانوا يكرهون أخذةً كأخذة الاسف
أي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد
ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل
الله وقبل العباد ويودي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج
اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله
عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه
وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته
وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده
اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه
افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليائه

المتقين. هذا كله بحرمة غالبا الكفار لا املاء الله لهم ليزدادوا
اثما ولنستدرجهم من حيث لا يعلمون. قال الله تعالى ما ينظرون الا
صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون. فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون. وكذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة
سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته. وقال موت
الفجاة راحة للمؤمن واخذه اسف للكافر او الفاجر. وذلك لان الموت
ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف
ما جاء وافضا الى راحة من نصب الدنيا. واذا هالا كما قال عليه
السلام مستريح ومستراح منه. وياتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا اهبة. ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون. فكان الموت
اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى
هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله
لقاءه. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. القسم الرابع في تصرف
وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام. قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه. قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير
وتعظيم واكرام. وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه. واجمعت الامة
على قتل متنقصه من المسلمين وسابه. قال الله تعالى ان الذين يؤذون

الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا.
قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم. وقال الله تعالى وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند
الله عظيما. وقال الله تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية. وذلك ان اليهود كانوا
يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا. ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة. فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها. لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه
والاستهزاء به. وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود
بمعنى اسمع لا سمعت. وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى
الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهو
عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم. وهو عليه السلام
واجب الرعاية بكل حال. وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن
التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه
وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا
القاسم قال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته
لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه. ويجد بذلك المنافقون
والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا
انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له. واستخفافا بحقه على عادة المجان

والمستهزئين فحما عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محقق العلما
نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس
في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شا الله ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل
الندب والاستحبا لا على التحريم فلذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان
الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا
وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته
ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام
ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال
تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل
الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري
وحكاه من محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن
زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا
تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان
يسمى احد باسما الانبيا اكراما لهم بذلك وغير اسماهم قال لا تسموا
باسما الانبيا ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا
وكناه يا ابا القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي

رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحه ومحمد بن
عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام
في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه

عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا
في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او
شبهه بشي على طريق السب له او الازرا عليه او التصغير
بشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم
الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا
الباب على هذا المقصد ولا نمتري به تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر
ومنكر من القول وزور وغيره بشي مما جرا من البلا والمحنة عليه
او غمصه ببعض العوارض البشرية الجايزة والمعهودة لديه
وهذا كله اجماع من العلما وايمة الفتوى من لدن الصحابه رضوان
الله عليهم الى هلم جرا قال القاضي ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن

قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي
قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضا قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ولا تقبل توبته عند هولا وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري
واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او بري منه او كذبه قال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شا الله لا نعلم
خلافا في استباحة دمه بين علما الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو
محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلما ان شاتم
النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج
ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو
سليمن الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله
اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون
والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب

من

من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند
الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمن
بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا
ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي [ابن]
المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله
عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب
عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان ردا النبي صلى الله عليه
وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال
بعض علمائنا اجمع العلما على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل او بشي من
المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي
صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي
زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم
رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا

المار في خلقه وحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس
يخرج من قلب سليم الايمان • وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل
له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقال له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت
برسول الله العقرب • فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك
يريد قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ
صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجب اباحة دمه • وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال
لرجل اد واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت
فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل • وافتى فقها الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثنا مناظرته باليتيم • وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات كلها الى اشباه
لهذا • وافتى فقها القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان
شاعرا متفننا في كثير من العلوم • وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي
العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في
الاستهزا بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام • فاحضر له القاضي يحيى
بن عمر وغيره من الفقها وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب

يحيى

منكسا ثم انزل واحرق بالنار • وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة • فكان اية للجميع
وكبر الناس وجا كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ
الكلب في دم مسلم • وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من
عصمته • وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال
فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابته • وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا كله مما عده
العلما سبا وتنقصا يجب قتل قايله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم
وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد • وكذلك اقول
حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او
ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة
من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى من مذاهب العلما في ذلك وياتي ما يدل عليه فصل في الحجة في
ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القران لعنه الله تعالى
لموذيه في الدنيا والاخرة • وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في

قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر
القتل فقال ان الذين يوذون الله ورسوله الايه وقال في قاتل المومن
مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في
الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله
انى يوفكون اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين
وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم
موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا
يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الايه فسلب اسم الايمان
عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر
يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يوذون
النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب
اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر

الهروي اجازة نا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية قالا نا محمد
بن نوح نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى
بن جعفر بن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن
ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح ان
النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب
بن الاشرف فانه يوذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير
الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البرا وكان يوذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل بن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام
وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل
جماعة ممن كان يوذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده
فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن
بن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل

الزبير ح لعله

وقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله ٭ وروي ايضا ان
امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها
خالد بن الوليد فقتلها ٭ وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث عليا والزبير ليقتلاه ٭ وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ وبلغ المهاجر بن
ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك
فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبيا ليس يشبه الحدود ٭
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من
لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها ٭ فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان ٭ وعن ابن عباس ان اعمى
كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما
كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها ٭ وفي حديث ابي
برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل
من المسلمين ٭ وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الايمة في هذا
الحديث انه سب ابا بكر ٭ ورواه النساي اتيت ابا بكر وقد اغلظ
لرجل فرد عليه ٭ قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه

فقال

فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الايمة بهذا
الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او
اذاه او سبه ٭ ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر انه لا
يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه ٭ وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقها العراق افتوه بجلده فغضب مالك
وقال يا امير المومنين ما بقا الامة بعد شتم نبيها صلى الله عليه وسلم من
شتم الانبيا قتل ٭ ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب
مناقب مالك ومولفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هولا الفقها بالعراق
الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشهر بعلم او ممن لم يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل
على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب
عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما
قدمناه ٭ ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سو طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلما بالردة ٭ وهي رواية الشاميين عن مالك

والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفه والكوفيين والقول الاخر انه دليل
على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على
قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزا والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في
مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القايل سمن كلبك ياكلك
ولئن رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قايل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير
دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي
صلى الله عليه وسلم من الحرمه مزية على امته وساب الحر من امته يحد
فكانت العقوبه لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهو دعا عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان
هذه القسمه ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى عليه السلام باكثر من هذا فصبر ولا
قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان اعلم وفقنا الله واياك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس

ويميل

ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا
ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل
صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا
يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطا والاحسان
وبذلك امره الله فقال ولا تزال تطلع على خاينة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتاليف
اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين
كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله
يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه
قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يوذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر
دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان
يقولها القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت
وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع

في فيتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم
وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء
ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام
منهم للدين وزرا واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده
عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ولم يصل رتبة الشهاده
في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدما لا تستباح الا بعدلين
وعلى هذا يحمل امر اليهود في السام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا
ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه
ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في
سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يات انه قامت بينه على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمه بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى
الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم

لوجد

لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبه
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن
العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوه وطلب اخذ الثره وقد رايت معنا
ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اوليك الذين نهاني الله عن
قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام الظاهره عليهم من حدود الزنا والقتل
وشبهه لظهورها واستوا الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
بن القصار وقال قتاده في تفسير قوله تعالى لين لم ينته المنافقون والذ
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينه لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الايه
قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكاه محمد بن مسلمه في المبسوط عن زيد
بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن
عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه
والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا
السام ليس فيه صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد

من لحقايه جميع البشر • وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسآمه
الملال • وهذا دعا على سآمة الدين • وليس بصريح سب • ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب إذا عرّض الذمي او غيره بسب النبي صلى
الله عليه وسلم • قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالأذا قال القاضي أبو الفضل وقد قدمنا ان الاذا والسب في حقه عليه
السلام سوا • وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما
تقدم • ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد
والذمه أو الحرب • ولا يترك موجب الأدله للأمر المحتمل والأولى في ذلك
كله والأظهر في هذه الوجوه ان قصد الاستيلاف والمداره على الدين
لعلهم يؤمنون • ولهذا ترجم البخاري على حديث القسمه والخوارج باب
من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه • ولما ذكرنا معناه
عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه
وهو أعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم
وانزالهم من صياصيهم • وقذف في قلوبهم الرعب • وكتب على من شا منهم
الجلا وأخرجهم من ديارهم وخربوا بيوتهم بايديهم وايدي المومنين •
وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكّم فيهم سيوف
المسلمين وأجلاهم من جوارهم واورثهم أرضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى • فان قلت فقد
جا في الحديث الصحيح عن عايشه انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شي

ولذلك

لهم

يوتى اليه قط الا أن ينتهك حرمة الله فينتقم منه • فاعلم ان هذا لا يقتضي
انه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه • فإن هذه من حرمات الله التي
انتقم لها • وانما تكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسو ادب أو معاملة من
القول • والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما
جبلت عليه الأعراب من الجفا والجهل أو جبل عليه البشر من الغفله
كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه • وكرفع صوت الآخر عنده
وكجحد الاعرابي شراه منه فرسه التي شهد فيها خزيمه • وكما كان
من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه أو
يكون هذا مما آذاه به كافر وجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره • وعن الاعرابي الذي أراد قتله • وعن اليهوديه
الذي سمته • وقد قيل قتلها • ومثل هذا مما يبلغه من اذا أهل الكتاب
والمنافقين رجا استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل
والله التوفيق فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازرا
به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا
اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلا وهو أن يكون
القايل لما قال له في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازرا
ولا معتقد له • ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه
أو سبه او تكذيبه أو اضافة ما لا يجوز عليه • أو نفي ما يجب له مما هو
في حقه عليه السلام نقيصة مثل أن تنسب اليه اتيان كبيره أو

مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو نغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو كذب بما اشتهر من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام ونوع من السب من جهته وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذ كان عقله في فطرته سليما به إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر أحد بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض

على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله أو أتى به أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذبه فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعى إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه

كذب

مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في
دعواه عليه الرسالة والنبوة. وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جا
به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله
عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل. وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود.
وقال نحوه ابو عثمن الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي. قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة.

فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل
يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره يتردد في المراد به من سلامته
من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف
المجتهدين. ووقفة استبرا المقلدين ليهلك من هلك عن بينة. ويحيى من
حيي عن بينة. فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه
فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم. ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له
الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصف
من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم. وقال ابو اسحق البرقي واصبغ
بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره

بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات
الله عليهم. ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس
غيرها ولا لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الان لاجل امره له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو
مطابق لعلة صاحبيه. وذهب الحارث ابن مسكين القاضي وغيره في مثل
هذا الى القتل. وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم
البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق
الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف. قال ولكن ظاهر
لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين. وقد كان
فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال. قال ودم المسلم لا يقدم عليه
الا بامر بين وما يرد اليه من التاويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى
كلامه. وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله. فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم. وذكر انه لم يرد الانبياء انما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى
فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه. وفيمن لعن
حديث لا يبع حاضر لباد. ولعن ما جا به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم
معرفة السنن ادب وجيعا وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله

سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى
سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه
من هجر القول ولا شك انه يدخل في هذا العدد من ابائه واجداده جماعة
من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي
الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قد
قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو
هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم
او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله
او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة
في المسلمين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم
ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه
بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان
شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي
ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون
خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه
ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من
شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى

ايام

أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم
يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس

ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد
ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد
الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل
في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا
اسلم من السنة الناس ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر
اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على
اكثر مما صبرت وكقول المتنبي ٥ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ٥
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير ٥ على ان اخر هذا
البيت شديد عليه وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ٥
٥ لولا انقطاع الوحي بعد محمد ٥ قلنا محمد من ابيه بديل ٥

عظيمه

هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيله نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر

واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبريل

وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما كثرنا استشهادنا مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل الى مثل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمن المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه غرضنا الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضيفت الى الملئكه والانبيا نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازرا وغضا فما وقر النبوه ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمه الاصطفى ولا عزز حظوه الكرامه حتى شبه من شبه في كرامه لها او معرة قصد

شعراء

الانفا

الانفا منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلا في وصف وتحسين كلام لمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهي عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان دري عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به وما لوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه وندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره في ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه من طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من روايه ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل

انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله عليه
وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثالا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره
سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق
الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله وسئل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك
الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان
فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاب النظر إليه
لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على
المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر
مالك خازن النار فقد جفى الذي ذكره عندما أنكره من عبوس الآخر
إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض
لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان
أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه
لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا
فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال

أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا
ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب
الكف عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا
القاضي أبو محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال
له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى
النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد
السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله فصل الوجه السادس أن يقول
القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته
وقرينته ومقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه
الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به فهو كالشهادة
والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح
له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو
في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكم بذلك والمحكي عنه
فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث
أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعيه الإشادة

بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من
بلغه ذلك من أيمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
من المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ
العامة او يودب الصبيان فان من هذه سريرته لا يأمن على القاء ذلك
في قلوبهم فيتأكد في هولاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته
وان لم يكن القايل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم
واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذا حيا وميتا مستحق على
كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان
به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
وعضده التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في
الحديث فكيف بمثل هذا وقد سيل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع
مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يودي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وذلك إن علم أن الحاكم لا يرضي القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة بحكاية قوله
لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير
غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحبا[ب]
قد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه انكار قولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه

وكذلك

وكذلك وقع في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان
ورد لاحمد بن حنبل ايضا انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله
في رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق هذه الوجوه السايغة الحكاية عنها
فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازرا بمنصبه على وجه الحكايات
والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفا والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قايله الحاكي له على غير قصد او
معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو
ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العود
إليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب أشد وقد حكي أن رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري وقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم ينفذ فيه قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه
الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام
وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته إلى غيره

فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه. وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن
حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر. وقد ذكر بعض
من ألف في الإجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا
المتقدمين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما
كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة
على نحو هذا الوجوه الأول ليروا نقمة الله في قائلها وأخذه المفتري عليه
بذنبه. وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر
إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن
اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف
بما يتطرق إلى عرض سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع

أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في
ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص
ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم

مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو يخشى به
فتنته. فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن. وقد قال عليه
السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال وما من
نبي إلا وقد رعى الغنم. وأخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام فهذا لا
غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به
الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء
حكمة بالغة وتدريج لله تعالى إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم
من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر
الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه. والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من أشرافهم
شيئا فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الأمم وغيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه.
ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان
في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه. وإذ اليتم من صفته وإحدى

علاماته في الكتب المتقدمه واخبار الامم السالفه وكذلك وقع ذكره في
كتاب ارميا وبهذا وصفه بوذي بن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب
وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي منحة وله فضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي
متعلقه بطريق المعارف والعلوم مع ما منح به صلى الله عليه وسلم وفضل
به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم
يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة صلى الله عليه وسلم اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفه وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة
في نفسها فاذا حصلت الثمرة المطلوب استغني عن الواسطه والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحن من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطه
سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنايه وهلم جرا الى ساير ما روي من
اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فنا امورها وتقلب احوالها كل هذا
من فضايله وماثره وشرفه كما ذكرنا فمن اورد منها شيا مورده

او قصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه او علم
منه بذلك سو قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد
من اخباره واخبار ساير الانبيا عليهم السلام في الاحاديث مما في
ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمه للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعوا الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقها
وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها
ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة
انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في
حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جا من
غلبت عليه العجمه وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا
نصها وصريحها ولا تتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها
فتفرقوا في تاويلها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح
من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شي في حق الله تعالى ولا في حق الانبيا
ولا يحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل
بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاد واهية الاسناد وقد

وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفه
موضوعه لا اصل لها او منقوله عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازاله اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى
للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكره
والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجبه
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصره
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمه وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه
السلام تحرى احسن اللفظ وادب العباره ما امكنه واجتنب بشيع ذلك
وهجر من العباره ما يقبح كلفظه الجهل والكذب والمعصيه واذا تكلم في
الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او
غلطا ونحوه من العباره ويتجنب لفظه الكذب جمله واحده واذا تكلم على
العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض
الاشيا حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفه في بعض الاوامر والنواهي ومواقعه الصغاير فهو
اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع

المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام
صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا فقبح منه
ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجايرين قوله لاجل ترك تحفظه
في العباره ما لم يقله وشنع عليه بما اباه ويكفر معاشرهم قايله واذا كان مثل
هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعما له
في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجوده العباره تقبح الشي
وتحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام
ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهه النفي عنه والتنزيه له فلا حرج
في تسريح العباره وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جمله ولا
اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا
وقد كان السلف رضي الله عنهم تظهر عليهم حالات شديده عند مجرد
ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوه
اي القران حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن
كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته

وذكر استتابته ووراثته قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ما هو سب واذى في
حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلما على قتل فاعل ذلك وقايله او مخير
الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجه عليه وبعد فاعلم ان

مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلما قتله حدا لا
كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا ينفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسوا
كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جا تائبا من
قبل نفسه لأنه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ
أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل
بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد في مثله وأما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه وقال بن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد
اختلف في الزنديق إذا جا تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك
قولين قال من شيوخنا من قال اقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر
نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف
من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب
النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم
لأنه حق متعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة
كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف
فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف وحكى بن المنذر عن علي بن ابي طالب

رضى الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده
عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر
وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله
عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته
والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس من تلحق
المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن
الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن
سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين
ارتداده أو يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضا فان توبة
المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي
الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار انابته ارتفع
عنه اسم الكفر ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال
أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام
قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد
وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى

تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن
تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه
الأول أشهر وأظهر لما قدمنا ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وإنما نقول ذلك مع فصلين أما مع إنكاره ما شهد
عليه به وإظهاره الإقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب فإن
قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل
فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه
أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم
عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله
له فلا شك في كفره بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو
تكفيره ونحوه وهذا مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله المطلع
على صحة إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما
شهد به عليه وصمم عليه هذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله

وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن شاء الله عز وجل فصل إذا قلنا
بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد إذ
لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة
على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمن
وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك
وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحق وأصحاب الرأي وذهب
طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ
وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله ولكن لا يدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي
أيضا عن عطاء أنه إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب ويستتاب
الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن
علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس
لا تقتل النساء في الردة وبه قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر
والأنثى في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر أنه
يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي

الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار
إلا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد
في الاستيناء ثلاثا وقال مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس
ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل وقال أبو الحسن بن القصار
في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك واجب او مستحب ويستحسن الاستتابة
والاستيناء به ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن أبي بكر الصديق انه استتاب
امرأة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة وقال ان لم يتب مكانه قتل
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى إلى الاسلام ثلث مرات فإن أبى
قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب
أبدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى بن القصار عن أبي حنيفة انه
يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن بن القاسم يدعا المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن
أبى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه أيام الاستتابة
ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام ويذكر
بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع
الناس أو وحده اذا استوثق منه سوا ويوقف ماله اذا خيف أن يتلفه
على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد

القابسي

قال

وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا
قال بن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد
وقاله بن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم
يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم
يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال بن المنذر ولا
نعلم أحدا أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبا اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم من ثبت
عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار أو عدول لم يدفع فيهم وأما من لم تتم
الشهادة عليه انما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا
يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والتنبز
بالسفه والمجون فمن قوي أمره اذاقه من شدة النكال من التضييق
في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه
القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه أمره
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والأوزاعي انها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون

وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سبّ النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته • وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره
القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن • ولكن يستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد
ما يطيق • وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدًّا ويضيق عليه
في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة أخرى مثلها
ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح • وفي الأدب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة • فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين
فأثبت من عداوتهما أو جرحهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من
غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون
ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة
فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم
هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد فصل قال القاضي [رضي الله عنه] هذا
حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه
الذمة أو العهد على هذا • وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما
من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم • ولكن
يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا

ايمانهم

[واستدل صح]

أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية • واستدل أيضا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم • ولم
نعطهم الذمة على هذا • ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل
حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام
عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به
ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي
كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعده • وحكى أبو
المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل
يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم
تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من
إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن
دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الآن فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ
قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء •
وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه
وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به

فلم يكن رجوعه الى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل إسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة
الكافر اولى قال مالك في كتاب بن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وبن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبيا عليهم
السلام قتل الا ان يسلم وقاله بن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون
وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد أخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي
لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى بن وهب عن بن عمر أن راهبا
تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال بن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن
بن القاسم في ذمي قال أن محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى
او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه
فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله او نحو هذا
فيقتل وقال بن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال واما
ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا أن يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال بن القاسم ومحمل قوله عندي إن
أسلم طايعا وقال بن سحنون في سؤالات سليمن بن سالم في اليهودي

يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبيا من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون
فان قيل فلم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ اموالنا فاذا قتل
واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا
صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم
على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل
لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل ما ذكره بن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف
لقول بن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه
خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت
بنصراني قال والذي أصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته أو عاش يوما وليلة ومات وامرت من جر برجله وطرح على
مزبلة فأكلته الكلاب وسيل أبو المصعب عن رجل نصراني قال عيسى
خلق محمدا قال يقتل وقال بن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد
عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت
الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك أرى أن يضرب
عنقه قال ولقد كدت ان لا أتكلم فيها ثم رأيت انه لا يسعني الصمت

قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه
بالنار حيًّا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتبت إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن
القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به
فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل
نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول
إسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن
الكاتب وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم
أو كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب روايتين
في درء القتل عنه بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من
حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه
حدود الله فأما حد القذف فحق العباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب
على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل
لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه
ويحد ثمانين فتأمله فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وغسله والصلاة عليه واختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله

فحق

عليه

عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال أصبغ ميراثه لورثته من
المسلمين إن كان مستسرًّا بذلك وإن كان مظهرًا له مستهلًا به
فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن القابسي إن
قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو أقر بالسب وأظهر
التوبة يقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام ولو أقر
بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرًا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف
فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في
كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله قال
ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين
الذي ارتد إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو
مات عليه وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة ولا تقبل منه وأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث
وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم
تقبل أنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن

كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقوله مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا
يرثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن ابي ليلا واختلف فيه عن احمد
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبن مسعود وبن المسيب والحسن
والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وأبو حنيفه
يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه
في الارتداد فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو
على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في
ميراث الزنديق فقوه ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بينة فأنكرها
أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمه وغير
محمد واحد من اصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
بن نافع عنه في العتبيه وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن
ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيره
وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب بن القاسم في العتبيه الي أنه
ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة
الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى
الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب انه

للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لانه
من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره الباب الثالث
في حكم من سب الله تعالى وملايكته وانبيائه وكتبه وال النبي صلى الله عليه
وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال بن القاسم في المبسوط
وفي كتاب بن سحنون ومحمد ورواه بن القاسم عن مالك في كتاب
إسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا
ان يكون افترا على الله بارتداده إلى دين دان به واظهره فيستتاب وان
لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطه مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمه وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب
حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وان لم
يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابه وذلك كله كالرده وهو الذي حكاه
القاضي بن نصر عن المذهب وافتى أبو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله عز وجل فقال انما اردت أن ألعن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين
الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبه في مسئله هرون بن حبيب اخي
عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر وكثير التبرم وكان قد شهد عليه
شهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما
لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله وافتى ابرهيم بن حسين بن

حسن

خالد بقتله وان مضمن قوله تجويز الله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح واخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم ومنصور بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال من دين الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في

عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في ازواج القدري قال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا

ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البركاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر الاقوال للسلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينه وابن لهيعه روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقها والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدريه واهل الاهوا المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفه والشاكه في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بتكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقها النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابه والتابعين ورثه اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدريه وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان ايضا قد يدخل في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق

البركاني

السلف

الواقفيه

نترك

القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهوا المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر وهو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقها والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاه ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعاده لمن صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيره وابن كنانه واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المساله على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوه على ميتهم ويختلف في موارثهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصله واحده وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مره من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطريق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي

علي بن

المعضلات

رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر
له بأن الغلط فيها يصعب لأن ادخال كافر في الملة أو اخراج مسلم عنها
عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من
التكفير من التأويل وان استباحة دما المصلين الموحدين خطر والخطا
في ترك ألف كافر أهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد
قال صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا يرتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فيما جا منها في
التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته الرافضة
بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهوا
فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه
الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك
دون اشراك وقد ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصيه
واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في
الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السما
طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له
الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من

بقاطع

الزنا

الحديث

الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام وقتلهم ها هنا حد لا كفر وذكر عاد
تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله حكم بكفره ويعارضه بقول
خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله كان يصلي فإن
احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن
الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين
مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه
وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الإسلام بشي أجابه الآخر
أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا ينشرح له صدورهم
ولا يعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وان احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل يخرج من هذه
الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بأن العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض
وكونهم من الأمة مع انه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا
الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة ولا
تعويل على اخراجهم من الأمة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي
الله عنه اجاد ما شا في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة
فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها
وتوقيفهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق

وتوقيفهم

فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان
الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك • وقال أبو الهذيل أن كل متأول كان
تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من
أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر • وقال بعض المتكلمين ان كان ممن
عرف الأصل وبنا عليه وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر • وان لم يكن
من هذا الباب ففاسق الا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير
كافر • وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين
في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا
سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق
وإنما الخلاف في تكفيره • وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد
الله عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم
الله في حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم • وقال نحو
هذا القول الجاحظ وثمامه في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى
واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحى الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر
بالاجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين
المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف
والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
أو شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم
أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه
والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو
عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب
الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى
واليهود والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين
أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند
والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب • وكذلك القرامطة
وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض • وكذلك
من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير
قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد
من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم
سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبائعيين • وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته
أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبدا الآباد في الأشخاص
وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها • وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من

الانبيا الذي نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم
اليهود والاروسيه من النصاري والغرابيه من الروافض الزاعمين ان عليا كان
المبعوث اليه جبريل وكالمعطله والقرامطه والاسماعيليه والعنبريه من
الرافضه وان كان بعض هولا قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانيه وصحة النبوه ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز علي الانبيا
الكذب فيما اتوا به ادعا في ذلك المصلحه بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنيه والروافض وغلاة المتصوفه واصحاب الاباحه فان
هولا زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جات به الرسل من الاخبار عما كان ويكون
من امور الاخره والحشر والقيمه والجنه والنار ليس منها شي علي مقتضي لفظها
ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق علي جهه المصلحه لهم اذ لم يمكنهم
التصريح لقصور افهامهم فمضمون مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الي نبينا تعمد
الكذب فيما بلغه او اخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او
استخف به او باحد من الانبيا او ازري عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه
فهو كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض القدما في ان كل جنس
من الحيوانات نذيرا او نبيا من القرده والخنازير والدواب والدود ويحتج
بقوله تعالي وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يودي الي ان توصف انبيا
هذه الاجناس بصفاتهم المذمومه وفيه من الازرا علي هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين علي خلافه وتكذيب قايله وكذلك نكفر من اعترف

الحيوان

من الاصول الصحيحه بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود
او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومه نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعي نبوة احد مع نبينا
عليه السلام او بعده كالعيسويه من اليهود القايلين بتخصيص رسالته الي
العرب وكالخرميه القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضه القايلين بمشاركة
علي في الرساله للنبي صلي الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولا
يقوم مقامه في النبوه والحجه وكالبزيعيه والبيانيه منهم القايلين بنبوة
بزيع وبيان واشباه هولا او من ادعي النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفا القلب الي مرتبتها كالفلاسفه وغلاه المتصوفه وكذلك من ادعا منهم
انه يوحي اليه وان لم يدع النبوه او انه يصعد الي السما ويدخل الجنه وياكل
من ثمارها ويعانق الحور العين فهولا كلهم كفار مكذبون للنبي صلي الله عليه
وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة علي حمل هذا الكلام
علي ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا يشك في كفر
هولا الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع علي تكفير كل
من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا علي نقله مقطوعا به مجمعا علي حمله
علي ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة
المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك
الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر

ولا

من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل
الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الروافض بتكفير جميع
الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم
ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها
إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم
أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي وهو يعلم أنه
يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر
بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا
بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو الشمس والقمر والصليب والنار
والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس
فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على
الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل أو شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب
الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من
كذب أو أنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل
الرسول ووقع الإجماع المتصل عليه فمن أنكر وجوب الصلوات الخمس وعدد
ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن

نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك أجمع على تكفير من قال
من الخوارج أن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم أن الفرائض
أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة أن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت
بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم وكذلك
إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج أو قال الحج واجب في
القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك
البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل
الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام فيقال له
سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم
خلافا كافة عن كافة إلى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور
كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة
التي صلى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن
تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله
عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع
لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة
المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره

وامتدت

هو رسول الله

الشرع عن الكذب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير
مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران
وانحلت عرا الدين كره ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران او حرفا
منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم
انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام القوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله حجة فيه لرسوله ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به
وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من القران الذي في ايدي
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم
على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي
صلى الله عليه وسلم لكنه يستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث او الحساب او القيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة
على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات

روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
الصوفية وزعم ان معنى القيمة الموت او فنا محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من
الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار
قاعدة من الدين كانكاره غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل
عثمن او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا
سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه واما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين ومن الفقها والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب
اخرون الى الوقوف على القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف

اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر
القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم
بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان
عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من
كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من
الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان
ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار
مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر
منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او
جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على
الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا
احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء
هاهنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال
به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن
اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا

يكفر

يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق
واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب
منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه
لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل
في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضا
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به
وقيل كان هذا الامر في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل
هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى
تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت
الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام
له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة ممن قال بالمآل لما يؤديه
اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم
اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم

بط

فمن

وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول أن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أهل كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب. قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في

الفصل

الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى. فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب. وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به قتل ولم يستتب. وقال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا. قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد. قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم. وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل. وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك. وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم. وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا

شيئًا من ذلك فمتى فعلوا شيئًا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلما في الذي
اذا تزندق فقال مالك ومطرف وبن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من
كفر الي كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا
يوخذ عليه جزيه قال بن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من
صرح بسبه واضافه ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما مفتري الكذب عليه
تبارك وتعالي بادعا الالهيه والرساله او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او
قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمره جنونه
فلا خلاف في كفر قايل ذلك ومدعيه مع سلامه عقله كما قدمناه لكنه يقبل توبته
علي المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال
ولا يوقّه من شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العوده
لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتي به فهو
دليل علي سو طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نامن من باطنه ولا
نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما
علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكليه فلا نظر فيه
ما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب علي
ذلك لينزجر عنه كما يودب علي قبايح الافعال ويوالي ادبه علي ذلك حتي
ينكف عنه كما تودب البهيمه علي سو الخلق حتي تراض وقد حرق علي بن ابي
طالب رضي الله عنه من ادعي له الالهيه وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث
المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفا والملوك واشباههم واجمع

علما وقتهم علي صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقها
بغداد ايام المقتدر من المالكيه وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي علي قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الالهيه والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعه ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان علي
نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي بالله وقاضي قضاه بغداد يوميذ ابو
الحسين بن ابي عمر المالكي قال بن عبد الحكم في المبسوط من تنبي قتل وقال
ابو حنيفه واصحابه من جحد ان الله تعالي خالقه او ربه او قال ليس لي رب
فهو مرتد وقال بن القاسم في كتاب بن حبيب ومحمد في العتبيه فيمن تنبا
يستتاب اسر ذلك او اعلنه فهو كالمرتد وقال سحنون وغيره وقال اشهب
في يهودي تنبا وادعي انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب
والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن باريه وادعي ان لسانه زل
وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا علي القول الاخر
من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب ادب فان عاد الي مثل قوله طولب مطالبه الزنديق لان هذا كفر
المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن
لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمه ربه الله وجلاله
مولاه او تمثل في بعض الاشيا ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا
عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل علي تلاعبه بدينه واستخفافه

بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب
وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج
يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد
صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك
دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه
ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى
الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن
حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدر
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب
عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح
سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه
فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء
عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر
ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا
مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا البا

والسنا

واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا
عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط
اللسان كقول بعض الأعراب * رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا
لكا * أنزل علينا الغيث لا أبا لكا * في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي
وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الأمور وقد روينا عن عون
بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول
أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر
اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا
وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة
وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة
خوضهم فيه تعالى وذكر صفاته إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء
يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب
ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم أو جحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن

فقل

يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض الآيه وقال تعالى قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الآيه الى قوله لا نفرق بين احد منهم
وقال كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في
كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون فيمن شتم الانبيا او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن
سبهم من اهل الذمه قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب
الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا
ان يسلم وقد تقدم الخلاف في الاصل وقال القاضي بقرطبه سعيد بن
سليمن في بعض اجوبته من سب الله او ملايكته او رسله قتل وقال سحنون من
شتم ملكا من الملايكه فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل
اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا
قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابيه من الروافض سموا بذلك
لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفه
واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او برى
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه
مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل
وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جمله الملايكه والنبيين او على معين
ممن حققنا كونه من الملايكه والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع

كجبريل

كجبريل وميكائيل ومالك وخزنه الجنه وجهنم والزبانيه وحمله العرش
المذكورين في القران من الملايكه ومن سمي فيه من الانبيا وكعزرايل
واسرافيل ورضوان والحفظه ومنكر ونكير من الملايكه المتفق على قبول الخبر
بهم فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملايكه
او الانبيا كهاروت وماروت في الملايكه والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
واسيه وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي
المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن
قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمه ولكن نزجر من تنقصهم واذاهم ونؤدب
بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم
تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملايكه فان كان المتكلم في
ذلك من اهل العلم فلا حرج عليه باختلاف العلما في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا
وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامه

فصل واعلم ان من استخف القران او المصحف او بشي منه او سبهما او
كذب به او جحده او حرفا منه او ايه او كذب به او بشي مما صرح به فيه من
حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفا ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شي من
ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن

نا ابن داسه نا أبو داود نا احمد بن حنبل نا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو
عن أبي سلمه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا في القران كفر
يؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال ﴿ وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه ﴿ وكذلك من جحد
التوريه والانجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها
فهو كافر ﴿ وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب
في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين
إلى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحي منزل على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله
بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع
الإجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ﴿ ولهذا
رأى مالك قتل من سب عايشه رضي الله عنها بالفريه لانه خالف القران ومن
خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه ﴿ قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما يقتل ﴿ وقاله عبد الرحمن بن مهدي ﴿ وقال ابن سحنون
فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب ﴿ وكذلك
كل من كذب بحرف منه ﴿ قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم
يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا ﴿
قتل لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقال ابو عثمن
بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل

كفر ﴿ وكان ابو العاليه إذا قرئ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول
اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال أراه سمع انه من كفر بحرف منه
فقد كفر به كله ﴿ وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به
كله ﴿ وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب
به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله ﴿ وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوريه فقال الاخر لعن الله التوريه فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد آخر انه سأله عن القضيه فقال انما لعنت توريه اليهود ﴿ فقال ابو
الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو
اتفق الشاهدان على لعن التوريه مجردا لضاق التأويل ﴿ وقد اتفق فقها بغداد
على استتابه ابن شنبوذ المقرئ احد ائمه المقرئين المتصدرين بها مع
ابن مجاهد بقراته واقرايه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا
عليه بالرجوع عنه والتوبه منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس
الوزير أبي علي بن مقله سنه ثلاث وعشرين وثلاث مايه ﴿ وكان فيمن افتى
عليه بذلك أبو بكر الابهري وغيره ﴿ وافتى ابو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن
قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك ﴿ وقال اردت سوء الأدب ولم ارد القران
قال أبو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل ﴿ فصل وسب آل بيته وازواجه
واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله نا ابو الحسين بن الحسن الصيرفي وأبو الفضل العدل

قال انا ابو علي نا ابو علي السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن
يحيى نا يعقوب بن ابرهيم نا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن
زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في
اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجي
قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلون معهم
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم
واذاهم يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني
في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة وقال في فاطمة
بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلما في هذا فمشهور مذهب
مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع وقال مالك رحمه الله من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا
من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عليا
او معوية او عمرو بن العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان
شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا

وقال

وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمن والبراة منه ادب ادبا
شديدا ومن زاد الى ذلك بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه
ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمن
او غيرهما اوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي
بكر وعمر وعثمن وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من
الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد
ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن
شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مو منين
فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب
قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه
لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك فسبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في
تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة رضي الله
عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى
القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة
فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا

في

فجلد ثمانين فحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين • وروى عن عمر بن الخطاب أنه
نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك
فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم • وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب أتي بأعرابي يهجو الأنصار
فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه • قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة
أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية • ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من
قبلهم الآية • وهؤلاء الأنصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الآية • فمن تنقصهم فلا حق له
في في المسلمين • وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن
زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا
أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره • ولقوله عليه السلام
من سب أصحابي فاجلدوه • قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد
الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له
وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه • قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم • ولو سمعه
الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به • قال ومن سب عائشة من أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى
الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد

المفتري قال وبالأول أقول • وروى أبو مصعب عن مالك من انتسب
إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا
حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم • وأفتى
أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار • وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل • والفقيه الذي صوب قوله هو أحق باسم الفسق
من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي جرحة ثابتة فيه • ويبغض في الله تعالى • وقال أبو عمران الفاسي
في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق أنه إن كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد
الواحد فلا شيء عليه • وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ فيه حد الموت
وذكروها رواية • فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله هنا انتهى
القول بنا فيما حررناه • وانتجز الغرض الذي انتحيناه • واستوفى الشرط
الذي شرطناه • مما أرجو أن يكون في كل قسم للمريد مقنعا • وفي كل
باب منهجا إلى بغيته ومنزعا • وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع في مشارب من التحقيق لم يورد لهما قبل في أكثر التصانيف
مشرع وأودعته غير ما فصل • وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام
فيه أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه أو فيه • لأكتفي بما أرويه عما
أرويه • وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه بوجهه

والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه
وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا
به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه
ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا
ممن لا يذاد اذا اذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه
واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة
نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل
شفاعته ونحمده تعالى على ما هدانا اليه من جمعه والهم وفتح
البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من
دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب
من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا
يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته
على سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم تسليما كثيرا ورضي الله
عن الصحابة اجمعين

آخر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين

بلغ مقابلة

آخر الجزء الثاني

وكان الفراغ من تحصيله يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الاول الذي هو من شهور سنة احد
وسبعين وسبعمائة هجرية نبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم